أجاثا كريستي
الحادث
S. Ghantous
المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

الحـــادث

أجاثا كريستي

الحادث

تعريب

عمر عبد العزيز أمين

المكتبة الثقافية

بيروت - لبنان

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

الطبعة الثانية
١٩٨٧

الحــــادث

- ١ -

كان الظلام دامساً والضباب من الكثافة بحيث تعذر على كشافـات السيارة أن تبدده إلى الحد الذي يسمح لقـائدهـا أن يتبين طريقه ، بينما كان النفير الآلي يرسل عويله المحزن في هدأة الليل ليحذر صيادي السمك في خليج بريستول من الخروج إلى البحر .

ورأى قائد السيارة نوراً خافتاً ينبعث من منزل على حافة الطريق ، فأوقف سيارته وأطفأ مصابيحها وهبط منها .

ولكنه مـا كاد يغلق باب السيارة ، وينظر إلى البيت مرة اخرى ، حتى وجد أن ذلك النور الباهت الذي كان بالنسبة له كالنجم المتلألىء الذي يهتدي به الملاح وسط الأمواج المتلاطمة ، قد انطفأ فجأة ..

وأورثه انطفاء هذا البصيص من النور احساساً مزعجـاً بالوحشة والضياع .

ولكنه تذكر أن في جيبه مصباحاً كهربائياً صغيراً كان قـد أعده

لاستعانة به عند الضرورة إذا ضل طريقه في شوارع المدينـة الصغيرة وطرقاتها الملتوية المظلمة .

أخرج المصباح من جيبه وأضاءه وراح يتلمس طريقه حتى وصل إلى باب الحديقة . .

فدفعه بيده فانفتح . .

وكانت عيناه قد ألفتا الظلام ، ولكنهما عجزتا عن اختراق أستار الضباب !

فكف عن السير وصاح بأعلى صوته :

– أما من أحد هنا ؟

وأرهف أذنيه ، وانتظر ، ولكنه لم يسمع سوى ذلك العويـــل الحزين !.

ولم يصده السكون والظلام عن غرضه ، فشق طريقــه وسط الحديقة مستعيناً بمصباحه . .

وانتهى أخيراً إلى الباب الزجاجي الذي خيل أن النور كان ينبعث منه منذ لحظات ، وأطل منه ، ولكنه لم يتبين شيئاً ، فقد كان الزجـاج مغبشاً من الداخل . .

طرق الباب بلطف أولاً . .

ثم بشدة !

ثم أمسك بالمقبض وحركه ، ولشد مـــا كانت دهشته حين تحرك المقبض وفتح الباب .

قال دون أن يتخطى العتبة :

– أما من أحد هنا ؟

ولما لم يسمع جواباً ، حرك المصباح في يده ليتبين طريقه ، فسقط نور المصباح على شاب في مقتبل العمر ، يجلس على مقعـد متحرك ، ووجهه

نحو النافـذة ..

فهتف قائلاً :

– معـذرة .. لقد ضللت طريقي في هذا الضباب اللعـين ، وسقطت سيارتي في حفرة .. ولا أعلم أين أنا الآن !

آه .. أنا آسف .. لقد تركت الباب مفتوحاً ..

واستدار وأغلق الباب وأسدل الستار دون أن يكف عن الكلام :

– يخيل الي انني انحرفت عن طريق السيارات في مكان ما ، ومأنذا الف وأدور بالأزقة والطرقات منذ ساعة دون أن أهتدي إلى سبيل .

ثم تحول إلى الشاب الجالس على المقعد المتحرك وقال :

– هل أنت نائم ؟

وسلط ضوء المصباح على وجه الشاب .

وبهت حين لاحظ أن الشاب لم يتحرك ؟

انحنى فوقه ، وهز كتفه ليوقظه .. ولكن جسد الشاب مـال إلى الأمام وظل مائلاً ..

وغمغم الرجل قائلاً :

– يا إلهي !

وأدار المصباح في يده حتى سقط نوره على الجدار .

وما زالت دائرة الضوء تتحرك على الجدار حتى استقرت على زر النور ، فأسرع اليه الرجل وحركه .

فأضيء مصباح على مكتب بالقرب من الباب .

وحينئذ أطفأ الرجل مصباحه ووضعه على المكتب ..

ودار حول الشاب ..

ثم وقع بصره على زر آخر في الجدار ، فضغطه .. فانبعث نور ساطع من مصباح في سقف الغرفة .

وعندئذ فقط وقع بصر الرجل على المرأة ..

كانت في نحو الثلاثين من عمرها ممشوقة القوام ، شقراء فاتنة ..

ولم تتحرك المرأة ..

بل خيل للرجل أيضاً أنها لا تتنفس ..

كانت يداها مخبوءتين في طيات ثوبها ، وعيناها لا تتحولان عن الشاب الجالس على المقعد المتحرك .

قال الرجل :

– إنه ميت .

فنظرت اليه المرأة ، وتعلقت عيناها بعينيه لحظة ، ثم قالت بصوت باهت لا يدل على انفعال من أي نوع :

– نعم ..

– هل كنت تعلمين ؟

– نعم .

– انه أصيب برصاصة في رأسه .. من !

وهنا أخرجت المرأة إحدى يديها من طيات ثوبها فاذا بها مسدس .

وشهق الرجل في دهشة وقال وهو يتناول المسدس من يدها :

– أنت التي قتلته ؟

– نعم .

- ٢ -

وضع الرجل المسدس على مائدة بالقرب من المقعد المتحرك ، وتقدم من الشاب وراح يتأمله ..

ولأول مرة ، ألقت المرأة على الزائر الغريب نظرة فاحصة ..

وجدته رجلاً متوسط القامة في نحو الخامسة والثلاثين من عمره ، قد لفحت الشمس بشرته ..

لم يكن وسيماً ..

ولكن قسمات وجهه ، وبروز عظـــام فكيه ، والبريق الذي يومض في عينيه .. كل ذلك كان يدل على قوة الارادة ومضاء العزيمـة والذكاء ..

ولم يكن أنيقاً ..

ولكن مظهره كان مظهر رجل الأعمـــال الواقعي الذي يتميز بحسن تقدير الأمور وسرعة البت فيها .

* * *

ولاحظت المرأة أنه يجيل البصر في جوانب الغرفـة ، فقالت بذلك

الصوت الأجوف الذي لا ينم عن شيء :

- هوذا التليفون !

وأومأت برأسها نحو المكتب .

فقال الغريب في دهشة :

- التليفون ؟

- نعم .. لكي تتصل بالبوليس ؟

فقال وهو يصمدها بعينيه ولا يستطيع أن يسبر غورها :

- إن التمهل بضع دقائق لن يضير أحداً ، ثم ان رحلتهم إلى هنا وسط الضباب ستتطلب وقتاً وجهداً .. ولكني أود قبل ذلك أن أعرف المزيد .

- ماذا تريد أن تعرف ؟

فنظر إلى الجثة وسأل :

- من هو ؟

- زوجي !

ثم أردف بعد قليل :

- اسمه ريتشارد واريك ، وأنا أدعى لورا واريك ..

- آه .. اليس من الأفضل أن .. تجلسي ؟

ورآها تسير ببطء وهي تترنح .. إلى أن اقتربت من الأريكة فتهالكت عليها ..

فسألها :

- هل آتيك بشراب ؟ لا بد أن ذلك كان صدمة لك .

فأجابت بلهجة ساخرة :

- أتعني اطلاق النار على زوجي ؟

فنظر اليها الغريب ملياً ..

ثم قال بشيء من الجفاء :

– نعم .. أم لعل الأمر كان مجرد لهو وتسلية ؟

فردت في هدوء تام :

نعم .. كان لهواً وتسلية .. ولكن لا بأس من أن أتناول كأس شراب ؟

فخلع الغريب قبعته والقى بها على أحد المقاعد ..

وتناول قنينة كانت على مائدة صغيرة بجوار المقعد المتحرك ، وملأ قدحاً قدمه إلى المرأة فاحتسته .

قال الشاب :

– والآن .. أريد أن تروي لي القصة كلها .

فنظرت اليه في هدوء وقالت :

– أليس من الأفضل أن تتصل بالبوليس ؟

– كل شيء في وقته .. ولا مانع من أن نتجاذب أطراف الحديث في هدوء .

قال ذلك وخلع قفازه ووضعه في جيبه ، وشرع في حل أزرار معطفه .

فقالت المرأة وقد بدت عليها دلائل الانهيار :

– أنا لا .. ولكن من أنت أولاً ؟ وماذا أتى بك إلى هنا الليلة ؟

فقال الشاب :

– أنا أدعى مايكل ستارك ، ومهنتي مهندس ، وأنا أعمل في الشركة الانجليزية الايرانية ، وعدت أخيراً من الخليج العربي ، وقضيت هنا يومين لزيارة المعالم التي عرفتها وأنا صغير .. فإن أسرة أمي تقيم في هذه المنطقة .

ولذلك خطر لي أن أبحث عن منزل صغير أبتاعه فيها ، ومنذ

نحو ساعتين أو ثلاث وأنا تائه في الظـــلام والضباب ، إلى أن سقطت سيارتي في حفرة أمام هذا البيت ، ففكرت في دخوله على أمل أن أجد تليفوناً أو مأوى أقضي فيه ليلتي ، فلقيت هذا الباب فعالجت مقبضه ، ولكنه كان مفتوحاً فدخلت . ورأيت هذا .

ولوح بيده نحو المقعد والجثة !

فقالت لورا :

– إنك دققت البـــاب قبـــل أن تدخل ، ودققته مراراً .. أليس كذلك ؟

فقال مايكل :

– نعم .. ولكني لم أسمع رداً .

– إني لم ارد ..

فنظر اليها ستارك مرة أخرى ، وحاول أن يسبر غورها ، ويعرف ما يعتمل في قرارة نفسها .

قال مستطرداً :

– لم يكن الباب موصداً ، ولذلك دخلت .

فنظرت لورا إلى قدميها ..

وقالت كمن يقرأ كتاباً :

« وفتح الباب ودخل زائر نصف الليل »

ومرت بجسدها رعدة خفيفة ..

ثم استطردت قائلة :

– كانت هذه العبارة تخيفني دائمـــاً ، وأنا طفلة .. زائر نصف الليـــل !

ثم ثارت ثائرتها فجأة ..

فرفعت رأسها وقالت بحدة :

– لماذا لا تتصل بالبوليس لكي ننتهي ؟

فاقترب من الجثة وراح يتأملها ..

وسأل :

– ليس بعد .. لماذا أطلقت عليه الرصاص ؟

فقالت ساخرة :

– أستطيع أن أذكر لك طائفة من الأسباب الوجيهة ، كان سكيراً ، وقاسياً ، وكنت أمقته منذ عدة أعوام ؟

فتفرس في وجهها ..

فقالت في غضب :

– ماذا تتوقع مني أن أقول ؟

فقال ستارك :

– كنت تمقتينه منذ عدة أعوام ؟ إذن لا بد أن يكون قد حدث شيء ، شيء خاص .. أدى إلى هذا .

– أصبت .. حدث الليلة شيء خاص ، ولذلك تناولت المسدس من مكانه على المائدة التي بجواره واطلقته عليه ، هكذا بكل بساطة ؟

ولكن ما فائدة الحديث في هذا الآن ؟ إنك ستضطر في النهـــاية إلى الاتصال بالبوليس ، لا مناص من ذلك .

فقال ستارك :

– ليس من اليسير علي أن افعل هذا الذي تطالبينني به ، فأنت امرأة ، وامرأة فاتنة !

– وهل يغير ذلك من الواقع شيئاً ؟

فرد في مرح :

– نظرياً لا .. أما عملياً فنعم !

قال ذلك وخلع معطفه ووضعه على مشجب ..

ثم وقف أمام الجثة وراح يتأملها .

فقالت المرأة ساخرة :

- يا للفروسية !

- سمها فضولاً إذا شئت .. إنني أتوق إلى معرفة كل شيء عن الموضوع .

فردت لورا قائلة :

- لقد قلت لك كل شيء ..

فقال مايكل :

- إنك ذكرت الحقائق الأساسية فحسب .

- بل وذكرت لك الدافع إلى الجريمة أيضاً ، وليس عندي ما اضيفه ، وعلى كل حال ماذا يحملك على تصديق ما ذكرته لك ؟ كان بوسعي أن أروي لك أية قصة .. ولكني أقول لك ببساطة ووضوح انه كان وحشاً قاسياً ، وكان يسرف في الشراب ، وإني كنت أمقته .

فقال ستارك وهو ينظر إلى وجه القتيل :

- اني أصدق العبارة الأخيرة على الأقل ، فهناك من الأدلة ما يؤيدها .. ولكنك ذكرت انك كنت تمقتينه منذ عدة أعوام ، فلماذا لم تهجريه ؟ ألم يكن ذلك أيسر وأسلم ؟

فترددت المرأة قليلاً ..

ثم قالت :

- اني فقيرة لا أملك مالاً !

فقال ستارك :

- يا سيدتي العزيزة ، لقد كان في مقدورك أن تثبتي قسوته وادمانه الشراب ، وبذلك تحصلين على حكم بالانفصال أو الطلاق ، وعلى نفقة شهرية تكفل لك الطمأنينة والاستقرار .

ونظر اليها في انتظار الجواب ..
ولكنها لم تجد ما تقوله !

ونهضت واقفة ، ووضعت قدحها على المائدة بجوار المقعد المتحرك .

سألها :

– هل لديك أولاد ؟

– كلا .. حمداً لله !

– إذن ، لماذا لم تتركيه ؟

فبدا عليها الارتباك ..

وأجابت :

– لأنني .. لأنني سأستطيع الآن أن أرث ثروته !

– كلا .. كلا . القانون لا يجيز ذلك ، ولا يسمح لك بالافادة من جريمتك ، أم لعلك ظننت أن ..

وتردد لحظة

ثم قال :

– ماذا ظننت ؟

– لا أعرف ماذا تعني ؟

فقال وهو يتفرس في وجهها :

– إنك لست غبية .. وحتى إذا ورثت ثروته ، فإن هذه الثروة لن تفيدك شيئاً إذا أنت سجنت مدى الحياة او شنقت .

ثم جلس على أحد المقاعد وقال :

– هب انني لم أحضر الآن وأطرق بابك ، فماذا كان في نيتك أن تفعلي ؟

فردت لورا

– هل يهمك أن تعرف ؟

فرد ستارك

– ربما لا يهمني .. ولكني أشعر بشيء من الفضول ، ماذا كنت ستزعمين لو لم أحضر وأضبطك متلبسة ؟ هل كنت ستزعمين أن الحادث وقع قضاء وقدراً ؟ أو إنه انتحر ؟

فقالت لورا .

– لا أعلم .. وليست لدي أية فكرة .. فلم يكن لدي متسع من الوقت للتفكير ؟

فقال وكأنه يتحدث إلى نفسه :

– كلا .. كلا .. لا أظن انك ارتكبت الجريمة عمداً ، مع سبق الاصرار ، انك ارتكبتها بدافع فجائي .. رداً على شيء قاله زوجك .. اليس كذلك ؟

– قلت لك أن ذلك لا يهم .

فقال مايكل :

– ماذا قال لك زوجك ؟

فردت لورا :

– ذلك ما لن أفضي به إلى أحد .

– سيسألونك في المحكمة .

– سوف لا أجيب ، ولن يرغمني أحد على الاجابة .

فرد الشاب :

– محاميك لا بد أن يعرف الحقيقة .. لكي يتسنى له إعداد دفاعه .

– ألا ترى انني فقدت كل أمل ؟ أنا على استعداد لأسوأ الاحتمالات .

– لماذا ؟ لأني حضرت على غير انتظار ؟ هب اني لم أحضر .

فقاطعته قائلة :

– ولكنك حضرت .

– نعم . ولذلك تملكك اليأس .

وساد صمت عميق !

وأخيراً أخرج ستارك من جيبه علبة تبغ ، وقدم لها سيجارة ، وأخذ سيجارة لنفسه ..

وقال :

– لنعود إلى الوراء قليلاً ، إنك كنت تكرهين زوجك منذ وقت طويل ، والليلة قال لك شيئاً آثار ثائرتك ، فاختطفت المسدس الذي كان على المائدة بجواره .

ولكن لماذا كان زوجك جالساً هنا وبجواره مسدس ؟ ذلك أمر غير مألوف ؟

فقالت لورا :

– انه تعود ان يطلق الرصاص على القطط .

فنظر اليها في دهشة وقال :

– القطط ؟

فتنهدت لورا وقالت :

– أظن أنني يجب أن أوضح لك بعض الأمور ، كان ريتشارد معروفاً بولعه بالصيد والقنص ، وكان ذلك سبب تعارفنا ، فقد التقينا معاً في (كينيا) ، وكان وقتئذ يختلف اختلافاً بيّناً عما أصبح فيما بعد ، أو لعل محاسنه كانت وقتئذ اكثر وأوضح من مساوئه ، كان كريماً وشجاعاً ومحبوباً من النساء .

وهنا تقدم منها ستارك وأشعل سيجارته بولاعته .

(٢) الحـادث

فنظرت اليه وتأملته ملياً للمرة الأولى .

قال لها :

– أمضي في حديثك .

– تزوجنا عقب لقـــائنا .. وبعد نحو عامين ، وقع له حادث مخيف ، إذ هاجمه أحد الأسود ، وكان من حسن حظه أنه نجا بحياته ، ولكنه أصيب باصابه تركته كسيحاً لا يستطيع السير .

قالت ذلك واسترخت في مقعدها ..

وزال عنها التوتر ..

ومضت في حديثها ..

قالت :

– يقولون إن المصائب تروض النفس وتهذب الخلق ، ولكن الكارثة التي حلت بريتشارد لم تهـذب خلقه .. بل على العكس ، إنهـا أبرزت أسوأ ما فيه ، وصيرته حقوداً ، قاسياً ، محباً للشراب ..

وقد جعل الحياة لا تطاق بالنسبة إلى كل انسان في هذا البيت .. ولكننا صبرنا عليه واحتملناه .. كنا نقول ما يقال عادة في مثـل هذه الظروف :

« مسكين ريتشارد ، إنه يعاني الكثير بسبب إصابته » .

ولكني أرى الآن إننا كنا مخطئين ..

فقد شجعه سكوتنا وصبرنا على الاعتقاد بأنه يختلف عن سائر الناس ، وان بوسعه أن يفعل ما يريد دون أن يسأل عما فعل .

قالت ذلك ونهضت لتدق رماد سيجارتهـا في منفضة على المائدة ، واستطردت قائلة :

– كان الصيد دائماً هو أحب شيء إلى نفسه .. ولذلك كان يجلس هنا كل ليلة ، بعد أن نأوي إلى مخادعنا .

فيأتيه خـــادمه الخاص (أنجل) بشرابه المفضل .. ويضع بجواره مسدساً أو اثنين ، ويترك هذا البـــاب المؤدي إلى الحديقة مفتوحـــاً !

ويظل ريتشارد قاعداً هنـــا في انتظار أن يلمح بريق عيني قطة ، أو أرنب بري أو كلب .

ولم تكن هنـــاك أرانب كثيرة .. ولكنه قتل عدداً كبيراً من القطط ..

فقال ستارك :

ـ ألم يشك الجيران من ذلك ؟

فردت لورا

ـ طبعاً .. إننا لم نأت إلى هنا إلا منذ عامين ، ولكننا كنا قبل ذلك نقيم في (نورفولك) على الشاطىء الشرقي ، وهناك قتل ريتشارد حيواناً أو اثنين من الحيوانات الأليفه ..

فأثار أصحابها ضجة شديدة ، وشكونا إلى الجهات المسؤولة .. ولذلك اتينا للاقامة هنا في هذا البيت المنعزل .. إن اقرب بيت الينـــا يبعد عدة أميال .. ولكن المكان هنـــا ملىء بالقطط والسناجب والطيور !

وصمتت قليلاً ..

ثم مضت تقول :

ـ لقد بدأت متاعبنا الحقيقية في نورفولك عندما أقبلت إحدى السيدات لتجمع معونة الكنيسة ..

وحينما انصرفت ، راح ريتشارد يطلق النار حولهـــا وهي تعدو كالأرنب المذعور .. وتنحرف يميناً ويساراً ، بينما ريتشارد يقهقه ضاحكاً !

وقد تقدمت السيدة بشكوى إلى البوليس بطبيعة الحـال .. ولكن ريتشارد استطاع أن يفلت من العقاب ببراعة ..

كانت لديه تراخيص لجميع أسلحته النارية ، وقد زعم انه إنما كان يطلق الرصاص على الأرانب البرية ، وإن مسز بارفيلد سيدة متقدمة في السن ، متوترة الأعصاب ، وقد توهمت انه يطلق النار عليها ، وهو أمر يجافي الواقع .

صفوة القول انه كان مقنعاً في دفاعه عن نفسه فصدقوه .

فقال ستارك :

– يبدو أن دعـابته .. كانت تنطوي على قدر كبير من فساد الذوق !

قال ذلك واقترب من الجثة ودار حولها ..

ثم استطرد قائلا :

– إذن فإن وجود المسدس على مقربة منه كان أمراً مـألوفاً ؟ ولكني أرتاب في أنه استطاع أن يطلق الرصاص على أي شيء الليلة بسبب الضباب

فقالت لورا :

– كان يحب دائماً أن يكون المسدس في متنـاول يده ، مهما كانت الأحوال الجوية .. كان المسدس بالنسبة اليه كاللعبة بالنسبة إلى الطفل ، وأحياناً كان يطلق الرصاص على الجدار لغير سبب مـا .. أنظر إلى يسار الباب ، تحت الستار .

فأزاح ستارك الستار ، ورأى في الجدار ثقوباً يتألف منها الحرفان (ر. و) ..

قـال :

– الحرفان الأولان من اسمه ، الحق أنه هداف بارع .

وأسدل الستار وعاد إلى مكانه أمام لورا ..

وقال :

— لا شك أن الحياة معه كانت مزعجة للغاية !

فقالت وهي تنهض من مقعدها بطريقة عصبية :

— نعم .. ولكن هل يجب أن نمضي في الحديث على هـذا النحو إلى ما لا نهاية ؟ إن ذلك مجرد ارجاء لما لا بد من حدوثه في النهـــاية ، ألا تدرك أن من واجبك أن تتصل بالبوليس ؟ افعل ذلك الآن ، فخـير البر عـاجله .. ام لعلك تريدني أنا ان افعل ذلك ؟ حسنـاً سأفعل !

وأسرعت الى التليفون ..

ولكنه هرول اليها وتناول السماعة من يدها وهو يقول :

— يجب ان نتحدث اولاً !

فردت :

— اننا تحدثنا طويلاً ، فلم يبق ما نتحدث فيه .

فقال ستارك :

— بل هناك ما يستوجب الحديث ، قد أكون مغفلاً ، ولكني أعتقـد اننا يجب أن نجد مخرجاً .

فلم تصدق لورا أذنيها ..

وهتفت :

— لي أنا ؟

— نعم ، لك أنت ..

ثم استدار اليها وقال :

— سنرى مبلغ شجاعتك .. هل تستطيعين الكذب عند الضرورة ؟ أعني الكذب المقنع الذي يصدقه من يسمعه !

فصاحت لورا :

- لا شك انك مجنون .

- ربما !

- إنك لا تعرف ما أنت فاعل .

فقال ستارك :

- بل أعرف جيداً ، إن ما أفكر فيه سيجعلني شريكاً لك في الجريمـة !

فردت الفتاة :

- ولكن لمـاذا ؟ لماذا ؟

فأجاب وهو مستغرق في التفكير :

- نعم .. لماذا ؟ السبب بسيط فيما أظن .. هو انك امرأة فـاتنة ، وانا لا أحب لامرأة لهـــا مثل فتنتك أن تقضي أجمل سني حياتها في السجن ، أو ان يطبق حبل المشنقة على عنقها الجميل من أجل جريمـــة كهذه ..

وعلى كل حال فإن الموقف واضح أمامنا .. فقد كان زوجك رجـلاً مريضاً وكسيحاً ..

فإذا كان قد اثارك إلى الحد الذي فقـدت فيه صوابـك واطلقت عليه الرصاص !

فأنت وحدك التي تستطيعين أن تذكري كيف اثارك واخرجك عن وعيك .. كلمة واحدة منك تكفي لالقـاء الضوء على أسباب الجريمة .. ولكنك لا تريدين أن تنطقي بهذه الكلمة ، وإذا أصررت على الصمت فإن تبرئتك تصبح أمراً مشكوكاً فيه ..

اليس كذلك ؟

فأجابت :

– الا يحتمل أن يكون كل ما قلته لك كذباً ؟
فابتسم ستارك وقال :
– ربما .. وربما اكون مغفلاً ، غير إني أصدقك .

فجلست لورا على أحد المقاعد دون ان تنظر اليه .
وقال ستارك :
– والآن .. تكلمي .. وبسرعـــة ، غير إني أريد اولاً ان اعرف : من الذين يقيمون في هذا البيت ؟
فترددت لورا لحظة ..

ثم قالت :
– توجد والدة ريتشارد ، ومس بنيت وهي ممرضة قديمة تعمل الآن كمديرة للبيت وسكرتيرة . وقد قضت في هذا البيت سنوات عديدة ، وهي تحب ريتشارد وتخلص له .

ثم هناك انجل ، خادم ريتشارد الخاص وممرضه
وليس لدينا خدم دائمون ..
آه .. هناك أيضاً جان .
فسأل ستارك بحدة :
– ومن هو جان هذا ؟

فنظرت اليه بمزيج من الحيرة والارتباك قائلة :
– انه أخ غير شقيق لريتشارد ، وهو يقيم معنا .
فقال ستارك وهو ينهض :
– أولى بك ان تكوني اكثر صراحة ، ثمة شيء او اشياء خاصة بجان لا تريدين الافصاح عنها .. ما هي ؟
فردت :
– إنه انسان لطيف جداً ، غير انه ليس كسائر الناس ، اعني أنه من

يقال عنهم انهم متخلفون عقلياً .

فسأل ستارك :

– آه .. يخيل اليّ انك تحبينه .

– نعم . اني أحبه كثيراً واعطف عليه كل العطف ، ومن اجله احاول ان اهجر ريتشارد واترك المنزل ، ذلك لأن ريتشارد كان يريد دائماً ان يضعه في مصحة للأمراض النفسية .

– وهل هذا ما كان يهددك به ؟

فردت :

– نعم . ولو وثقت من انني أستطيع ان اكسب بعرق جبيني مـــا يكفيني انا وجان لما ترددت ، ولكني لم أكن على يقين ، ثم ان ريتشارد هو الوصي على أخيه ..

– هل كان ريتشارد يعامله برفق ؟

– أحياناً !

واحياناً اخرى كان يتحدث عن ارساله إلى مصحـــة ويقول له : انهم سيعاملونك هناك برفق ويعنون بك ، وسوف تقوم لورا بزيارتك مرة او مرتين كل عام

ولا يزال بالشاب المسكين حتى يدخل الذعر في قلبه ، فيجثو المسكين امامه ، ويرجوه ، ويتوسل اليه ، فينفجر ريتشارد ضاحكاً ، ويظل يضحك حتى تدمع عيناه

– فهمت .. فهمت .

فنهضت لتطفيء سيجارتها وقالت :

– لا ضرورة لأن تصدقني ، بل لا ضرورة لأن تصدق أية كلمة اقولهـا لك ، إن ما اقوله قد يكون مجرد مجموعة من الأكاذيب .

فقال ستارك :

-- قلت لك اني سأجازف بتصديقك ، والآن أي نوع من النساء تلك المرأة المسماة مس بنيت ؟ هل هي امرأة ذكية ؟

- إنها على جانب كبير من الذكاء والكفاية ..

فسألها :

- كيف اتفق ان احداً من كل هؤلاء .. لم يسمع صوت الطلق الناري ؟

فردت لورا

- إن والدة ريتشارد نصف صماء ، وغرفة مس بنيت تقع في الجانب الآخر من البيت .. والجل يقيم في جناح منعزل ، اما غرفة جان فإنها تقع فوق هذه الغرفة ، ولكنه يأوي إلى فراشه في ساعة مبكرة ويستغرق في نوم عميق .

- كل هذا من حسن الحظ .

فسألته :

- ولكن ماذا يدور بخلدك ؟ هل تعتقد اننا نستطيع ان نجعل الحادث يبدو وكأنه انتحار ؟

فهز رأسه سلباً ..

وأجاب :

- كلا .. لا امل في ذاك .

ثم اقترب من الجثة ونظر اليها مرة أخرى ..

وسأل :

- هل كان أعسراً ؟

- كلا ..

فقال وهو يشير إلى مكان الاصابة في الجانب الأيسر من الرأس :

- يستحيل ان يحدث اطلاق الرصاص باليد اليمنى مثل هذه

الاصابة .. ثم انه لا يوجد اثر لاحتراق البشرة .

وهذا يدل على ان الرصاصة اطلقت من مسافة بعيدة ، كلا .. يجب ان نستبعد فكرة الانتحار نهائياً ، ويبقى بعد ذلك ان يكون الحادث قد وقع قضاء وقدراً !

وصمت ..

وفكر في الأمر ملياً ..

ثم قال :

– لنفرض اني جئت إلى هنا الليلة ، كما حدث فعلاً .. واني دخلت من هذا الباب ، فصوب على ريتشارد مسدسه وأطلقه .. ذلك جائز تماماً على ضوء المعلومات التي أدليت بها إلي ..

ثم لنفرض أن الرصاصة طاشت واني هجمت عليه ، وانتزعت المسدس من يده ..

فهتفت لورا في حماسة :

– وخلال النضال بينك وبينه ، انطلقت رصاصة ؟

فقال ستارك :

– نعم .. كلا ، هذه فكرة خاطئة سيكتشف البوليس على الفور أن الرصاصة لم تطلق من مسافة قريبة ، لأنه لا يوجد أثر لاحتراق البشرة كما قلت لك ..

وإذا كنت قد نجحت في انتزاع المسدس من يده ، فلماذا أطلق الرصاص عليه ؟

كلا .. إنها مسألة معقدة حقاً .

وتنهد واستطرد قائلاً :

– حسناً .. لتكن جريمة قتل إذن .. ولكنها جريمة ارتكبها شخص من الخارج .

قال ذلك ومشى إلى الباب وأمسك بالستار ..
ونظر إلى الخارج ..

فقالت لورا :

– تعني لصاً ؟

فقال ستارك بعد تفكير :

– يجوز أن يقدم اللص على ارتكاب جريمة قتل .. غير ان هذا لن يكون مقنعاً .. وخير منه أن يكون القاتل عدواً لريتشارد ، سيبدو ذلك كأنه مسرحية مأسوية ..

ولكن يخيل إليّ مما ذكرته عن خلق زوجك وطباعه أنه رجل خليق بأن يكون له أعداء كثيرون ، فهل أنا على صواب ؟ .

فأجابت بهدوء :

– نعم .. كان لريتشارد أعداء ، إنما ..

فأشعل ستارك لفافة تبغ ..

ثم قال :

– دعك من الاعتراضات الآن ، وحدثيني عن أعداء ريتشارد .. هناك السيدة التي أقبلت لجمع التبرعات للكنيسة ، فأطلق الرصاص عليها .. غير اني لا أعتقد أن ما حدث لها يصلح لأن يكون حافزاً للقتل .. من سواها ؟ من سواها يحقد على زوجك ؟ .

فدفنت الصبية وجهها بين كفيها واستغرقت في التفكير .

فلم تكن على يقين من أن هناك بين أعداء ريتشارد .. من يمكن اتهامه بقتله !

قالت أخيراً :

– كان لدينا بستاني منذ عام ، فطرده ريتشارد ورفض أن يعطيه شهادة عن سلوكه وعمله ، وقد ثار البستاني ، وهدد وتوعد ، وكان عنيفاً

في حديثه مع ريتشارد .

فسألها ستارك :

– هل هو من أهل هذه المنطقة ؟

– انه يقيم في قرية تقع على بعد أربعة أميال من هنا .

فعبس ستارك وقال :

– لا أظن .. اننا نستطيع الافادة من هذه المعلومات ، واكبر الظن أن هذا البستاني سوف يقيم الدليل على أنه كان في بيته وقت حدوث الجريمة .. فإن لم يستطع ، فإنه قد يدان ويعاقب على جريمة لم يرتكبها ..

كلا . إننا نريد عدواً من الماضي البعيد ، من العهد الذي كان فيه ريتشارد يصطاد الأسود ، والنمور في إفريقيا ، أو الهند ، أو أي مكان آخر ، يتعذر على رجال البوليس الاهتداء فيه إلى الحقيقة بسرعة !

فقالت لورا :

– ليتني فقط استطيع أن اتذكر بعض القصص التي رواها ريتشارد عن مغامراته في افريقيا ، ولكني مشوشة الذهن ولا استطيع أن اتذكر شيئاً ..

– حتى قصص مغامراته في رحلات الصيد والقنص لن تفيدنا ، إذ ليست لدينا أدلة مادية من أي نوع .. مثل عمامة هندية ، أو حربة افريقية أو سهم مسموم ، هل تفهمين ما أعني ؟

إن ما نحن بحاجة اليه .. هو اسم أي عدو قديم من أعداء ريتشارد ، فحاولي أن تتذكري .

فراحت لورا تعصر ذهنها ..

ولم تلبث أن هزت رأسها قائلة :

- لا أذكر شيئاً !

فسألها ستارك :

- انك حدثتني عن زوجك وشذوذه ، وغرابة أطواره .. رجل مثله لا بد أن يكون في حياته احداث ، وأشخاص ..

أعني أشخاصاً ناصبوه العداء .. ووجهوا اليه تهديدات لها ما يبررها !

فقالت ببطء :

- هناك رجل كان ريتشارد قد صدم ابنه بالسيارة وقتله .

فصاح ستارك بسرعة :

- من هو هذا الرجل ؟

- فقد وقع الحادث منذ نحو عامين ، عندما كنا نقيم في نورفولك .. وهدد ريتشارد بالانتقام !

- هذا موضوع يمكن الافادة منه .. حدثيني بكل ما تذكرينه عنه .

- كان ريتشارد قادماً بسيارته من مدينة (سكرومر) .. وكان قد أسرف في الشراب .. فاخترق إحدى القرى الصغيرة بسرعة رهيبة .. واتفق أن كان احد الأطفال يعبر الطريق فصدمه ريتشارد وقتله على الفور

فسأل ستارك بدهشة :

- هل تعنين ان زوجك كان في استطاعته أن يقود سيارة ؟

فقالت الصبية :

- نعم ، كانت لديه سيارة صنعت خصيصاً ، بحيث يستطيع قيادتها بيديه فقط دون الاستعانة بقدمه .

فرد ستارك :

– فهمت .. وماذا تم في حادث الطفل ؟ ألم توجه إلى زوجك تهمة القتل الخطأ ؟

فقالت بمرارة :

– حـدث تحقيق طبعـا .. ولكنه حفظ وبرئت ساحة ريتشارد تمـاما .

فهتف ستارك بدهشة :

– كيف ؟ ألم يكن هناك شهود ؟

فتمتمت قائلة :

– كان هناك والد الطفـل ، وقـد رأى الحادث بنفسه ..

وكانت مع ريتشارد في السيارة ممرضة من المستشفى تدعى مس واربورتون ..

وقد قررت هذه الممرضة ان السيـارة كانت وقت وقوع الحـادثة تسير بسرعة اقل من ثلاثين ميلا في الساعة . وان ريتشارد لم يتنـاول من الشراب سوى قدحا واحداً من النبيذ .

وقالت ان الحادثة لم يكن من الممكن اجتنابها ..

وصدقهـا المحقق ، ولم يصدق والد الطفل .. الذي ثار وهدد وتوعـد ؟

وتنهدت لورا ..

واستطردت قائلة بلهجة تدل على السخط والاستهجان :

– كل شيء حول الممرضة كان يوحي بالثقة في أقوالهـا ، فهي إمرأة ناضجة ، رزينة .. والمعروف عن الممرضات بصفة عـامة انهن اهل الثقة .

– هل كنت معها في السيارة ؟

– كلا !

فعاد لسؤالها :

– إذن كيف عرفت ان ما قالته الممرضة غير جدير بالتصديق ؟

فقالت :

– فقد استعرض ريتشارد الموضوع برمتــه عقب عودته هو والممرضة من التحقيق .. وقال للمرضة وهو ينظر اليها ويضحك :

« أحسنت يا مس واربورتون .. انك قدمت لي خدمة عظيمة ، وقد كان من الممكن ان اقضي في السجن عدة أعوام » ؟

فأجابته الممرضة قائلة :

« إنك لا تستحق هذه الخدمة يا مستر واريك ، فأنت تعلم انك كنت تقود السيارة بسرعة رهيبة ، وقد ذهب هذا الطفل المسكين ضحية رعونتك » ؟

فقال ريتشارد :

« وما اهمية طفل بالزيادة او النقصان في هذا العالم المزدحم بالسكان ؟ لقد استراح الطفل من شقاء الحياة ، وأؤكد لك ان مصرعه لن يؤرقني ولن يفسد علي متعة النوم » !

فانبعث ستارك واقفاً ..

وقال وهو ينظر من ركن عينه إلى الجثة :

– ان كل جديد أسمعه عن زوجك ، يزيدني اعتقاداً بأن ما أصابه الليلة كان قصاصاً عادلاً ، وليس جريمة قتل .. والآن .. مـا اسم ذلك الشخص الذي قتل ريتشارد طفله ؟

– كان اسمه يدل على انه من اصل اسكتلندي ، كان يدعى ماك .. ماكلويد او ماكري .. لا أذكر تماماً .

فقال ستارك :

– حـاولي ان تتذكري .. يجب ان تتـذكري .. الا يزال يقيم

في نورفولك ؟

- كلا .. إنه لم يكن يقيم فيها .. انه اقبل من كندا خصيصاً لزيارة اهل امرأته ..

فهتف ستارك :

- كندا ؟ هذا بلد بعيد مترامي الأطراف ، والبحث فيه عن والد الطفل سوف يستغرق وقتاً طويلاً .. اظن اننا وقعنا على ضالتنا ؛ ولكن بحق السماء .. حاولي ان تتذكري اسم هذا الشخص !

- ٣ -

اطرقت لورا برأسها واستغرقت في التفكير ..
بينما راح ستارك يذرع أرض الغرفـــة وعلى وجهه دلائل الهم والقلق ..
وفجأة .. توقف ستارك عن السير وأخرج قفازه من جيبه ودس يديه فيه ..
وقال يكلم لورا :
- هل لديك صحف ؟
- صحف ؟
- نعم ، لا أعني بالضرورة صحف اليوم .. أريد صحف أمس أو أمس الأول .
فأجابت وهي تشير إلى رف وراء المكتب :
- توجد هناك طائفة من الصحف القديمة .
فأسرع ستارك إلى حيث أشارت ، وتنـاول إحدى الصحف ، والقى عليها نظرة سريعة وهتف :
- رائع . هذا ما أريده .
وبسط الصحيفة على المكتب ، وتنـــاول مقصاً كان هناك ، وتأهب للعمـل !

فسألته لورا :

– ماذا تريد أن تفعل ؟

– سأصطنع الأدلة .

– ولكن .. هب أن البوليس عثر على الرجل ؟

– إذا كان الرجل لا يزال يقيم في كندا ، فـان سلطات البوليس ستجد مشقة في العثور عليه .. وإذا عثرت عليه ، فمن المحقق أن الرجل سيكون لديه من الأدلة ما يثبت أنه كان وقت وقوع الجريمـة في مكان ما ، بعيداً عن مسرح الأحداث .

وكل هذا سوف يتطلب وقتاً طويلاً يكفي لتهدئة الموقف هنا ، ويتيح لنا فرصة لمزيد من التفكير والتدبير .

فهزت لورا رأسها ببطء قائلة ·

– اني لا أقر هذه الخطة ، ولا أوافق على اقحام شخص برىء في هذه الجريمة ؟

فقال ستارك :

– يا فتاتي العزيزة ، انك لست في مركز يسمح لك بالاختيار ، وإنمـا يجب ان تتذكري إسم الرجل ، يجب . يجب ..

– قلت لك اني لا أستطيع .

فقال ليعاونها :

– هل كان اسمه ماكدوجال ، أو ماكدنالد ، او ماكنتوش ؟

– كلا ..

– لا حيلة لي في الأمر .. مـا دمت لا تستطيعـين تذكر الاسم ، فعلينا أن نعمل بدونه .. ألا تذكرين تاريخ الحادثة ، او اي شيء آخر يفيدنا ؟

– اذكر التاريخ .. فقد وقع الحادث في اليوم الخـامس عشر من

شهر مايو .
فدهش ستارك وقال :
ـ كيف استطعت بحق السماء أن تذكري التاريخ بهذه الدقة ؟
ـ لأنه تاريخ يوم مولدي .
فتمتم ستارك :
ـ فقد خدمنا الحظ في هذا أيضاً .. فتاريخ هذه الصحيفة هو الخامس عشر من الشهر ؟ .
قال هذا وقص التاريخ .
فهتفت لورا :
ـ أن تاريخ هذه الصحيفة هو الخامس عشر من شهر نوفمبر .
ـ أعلم هذا .. إن ما يهمنا هو الرقم .. أما حروف (مايو) فيمكن تدبيرهـا .
وراح يقص الحروف من الصحيفة واحداً تلو الآخر ، قص حروف الميم والألف والياء والواو .
وسألته لورا :
ـ ماذا ستفعل بعد ذلك ؟
فأجاب وهو يجلس أمام المكتب :
ـ هل لديك مادة لاصقة ؟
فمدت لورا يدها لتتناول من فوق المكتب أنبوبة بها مادة لاصقة .
ولكن ستارك صاح بها :
ـ كلا .. لا تمسيها ، وإلا تركت عليها بصمات أصابعك .
وتناول الأنبوبة وفتحها ..
ووجد ورقة بيضاء من ورق الخطابات ..
فقـال :

- هذا الورق شائع الاستعمال ويباع في جميع المكتبات .

ووضع الورقة أمامه ، وراح يقص الحروف من الصحيفة ويلصقها على الورقة وهو يقول :

- كيف تصبح مجرماً بعد درس واحد ؟ هذا هو اهم العملية التي نقوم بها الآن .

أنظري ..

ووضع أمامها الورقة بعد أن فرغ من لصق الحروف .

فقرأت فيها :

١٥ مـــايو
يوم الانتقام

وتناول ستارك الورقة وقال وهو يقترب من الجثة :

- والآن .. يجب أن نضع هذه الورقـــة في جيب ريتشارد العزيز .

وطوى الورقة ، ودسها في جيب القتيل ، وعندما أخرج يده ، سقطت من الجيب ولاعة ذهبية ..

فأفلتت من فم لورا صيحة قصيرة ، واندفعت إلى الأمـام لتلتقط الولاعـة .

ولكن ستارك كان أسرع منها .

صاحت بلهفة :

- أعطنيها إنها ولاعتي .

فنظر ستارك إلى الولاعة ..

ثم إلى لورا ..

وارتسمت الدهشة في عينيه .

قال وهو يقدم لها الولاعة :

ـ حسناً .. حسناً .. إنها ولاعتك ، فلماذا الانزعاج ؟

ثم راح يصعدها بعينيه وقال :

ـ هل بدأت تفقدين اعصابك ، أم ماذا ؟

ـ كلا طبعاً ..

وبينما كان ستارك ينظم ثياب القتيل بعد ان وضع الورقة في جيبه ، راحت لورا تمسح الولاعة في ثوبها خلسة لتزيل ما قد يكون عليهـــا من بصمات الأصابع .

* * *

واعاد ستارك كل شيء إلى مكانه على المكتب ، ثم خلع قفازه واخرج منديله من جيبه ..

وقال وهو ينظر اليها :

ـ انتهينا من الخطوة الأولى ، فلننتقل الآن إلى الخطوة الثانية ، أين القدح الذي شربت منه الآن ؟

فاقتربت لورا من المائدة التي بجوار المقعد المتحرك وتنـاولت القدح .. ووضعت الولاعة على المائدة .

وهم ستارك بأن يزيل اثر البصمات التي على القدح بمنديله ..

ثم توقف وقال :

ـ كلا .. هذا غباء .

ـ لماذا ؟

– لا بد من وجود بصمات على القدح والقنينة ، بصمات الخادم وبصمات زوجك على الأقل . إن عدم وجود بصمات على الاطلاق من شأنه أن يثير ريبة البوليس .

قال ذلك وملأ القدح بالشراب واحتساه .

ثم قال :

– والآن .. يجب أن أبحث عن مبرر لوجود بصماتي ، إن الجرائم ليست من الأمور السهلة .. أليس كذلك ؟.

ووضع القدح على المائدة ..

فصاحت لورا بحدة :

– أرجوك ألا تقحم نفسك في هـذا .. حتى لا يرتاب البوليس في أمرك !

فقال وهو يبتسم :

– إنني مواطن محترم لا ترقى اليه الشبهات ، ثم انني أقحمت نفسي في القضية وانتهى الأمر .. فهناك سيارتي في حفرة أمام البيت ، وهنا بصمات أصابعي في كل مكان ..

ولكن لا تنزعجي . إن أسوأ مـــا قد يحدث لي .. هو أن يستجوبوني عن سبب قدومي .. وعن الوقت الذي جئت فيه .. وربما لا استجوب على الاطلاق إذا أنت أحسنت القيام بدورك .

فتهالكت لورا على أحد المقاعد ..

وبدت على وجهها دلائل الذعر ، والفزع .

واقترب ستارك منها وقال :

– والآن .. هل أنت على استعداد ؟

فسألته :

– على استعداد لماذا ؟

– يجب أن تتمالكي نفسك .

فقالت في حيرة :

– انني أشعر بدوار وغبـــاء .. وكأن عقلي قد أصبح عاجزاً عن التفكير !

فقال ستارك :

– إنك لست بحاجة إلى التفكير ، ومـا عليك إلا أن تطيعي ، هل لديك موقد من أي نوع ؟

– يوجد موقد للتدفئة .

– حسناً ..

والتقط قصاصات الورق من فوق المكتب ، وطوى عليها بقـــايا الصحيفة وقال :

– اذهبي الآن إلى المطبخ . وضعي هذا الورق في الموقد ، ثم اصعدي إلى غرفتك واخلعي هذه الثياب وارتدي قميصاً .. أو غلالة مما تعودت ارتداءه عند النوم .

وصمت لحظة ..

ثم سأل :

– هل لديك أنبوبة أسبرين .

فأجابته والدهشة في عينيها :

– نعم ..

– حسناً .. افرغي محتوياتها في البالوعة . ثم اذهبي إلى جارتك أو إلى مس بنيت ، وقولي انك تشعرين بصداع شديد ، وانك بحاجة إلى قرص اسبرين ..

واحرصي عـــلى ان تتركي باب جارتك .. او باب مس بنيت مفتوحـــا .. لأنك ستسمعين ، وأنت تتحدثين إلى احداهما صوت طلق

ناري !

فهتفت لورا في جزع :

– صوت طلق ناري ؟

فقال وهو يتناول المسدس الذي كان قد أخذه منها ووضعه على المائدة بجوار الجثة :

– نعم .. سأتكفل أنا بذلك ..

وفحص المسدس جيداً ..

ثم قال :

– يخيل إلي أن هذا المسدس من صنع الخارج .. أم لعله من ذكريات الحرب .

فقالت لورا :

– لا أعلم .. إن لدى ريتشارد مسدسات كثيرة مصنوعة في الخارج ؟

فسألها ستارك :

– ترى ، هل هذا المسدس مسجل باسمه ؟

– لا أعلم .. كل ما أعلمه .. ان لديه تراخيص لمجموعة من الأسلحة ؟

فرد ستارك :

– الترخيص شيء ، وتسجيل السلاح باسم صاحبه شيء آخر .. هل هناك من يعرف بصفة قاطعة ما إذا كان زوجك قد سجل هذا المسدس باسمه ؟

– ربما انجل ، هل هذا مهم ؟

– إن طريقتنا في تزييف الحادث .. تعني أن القاتل تسلل إلى هذه الغرفة في طلب الانتقام والدم يغلي في عروقه .. ومسدسه

في يده ..

ولكننا نستطيع أن نقلب الأوضاع دون ان تتأثر الخطة في مجملها ، بمعنى أن نفترض ان القاتل دخل بيتنا كان ريتشارد يقاوم النعاس ..

وإن ريتشارد أسرع بتناول المسدس ، ولكن القاتل انتزعه من يده واطلقه عليه .

مجرد افتراض !

والآن ، أرجو أن نكون قد فكرنا في كل شيء .. ولم يفتنا شيء ، والواقع ، ان فارق الوقت بين اللحظة التي قتل فيها زوجك فعلا واللحظة التي قتل فيها طبقاً لروايتنا ..

أي نحو عشرين دقيقة ، هذا الفارق لن يكون واضحاً إذا نظرنا إلى طول الوقت الذي ستستغرقه رحلة رجال البوليس إلى هنا وسط الظلام والضباب .

وحرك الستار ونظر إلى الثقوب التي أحدثتها رصاصات ريتشارد في الجدار وقال :

– لا بأس من أن اضيف اليها ثقباً آخر !

وتحول إلى لورا ..

واستطرد قائلا :

– عندما تسمعين صوت الطلق الناري ، تظاهري بالفزع ، وتعالي إلى هنا ومعك مس بنيت .. أو أي اشخاص تجدينهم .

وإذا سئلت فقولي انك لا تعرفين شيئاً ، وانك أويت إلى فراشك ، ثم استيقظت بصداع شديد ، فذهبت إلى غرفة حماتك ، أو غرفة مس بنيت للبحث عن أسبرين .. وان ذلك هو كل ما تعرفينه .. مفهوم ؟

فأطرقت برأسها علامة الايجاب .

وقال ستارك :

– أما الباقي فدعيه لي .. هل تشعرين بأنك احسن حالاً الآن ؟

– نعم .

– اذهبي اذن واشرعي في اداء دورك .

– ولكن انت .. انت ؟ لا يجب أن تزج بنفسك في هذا .

فقال ستارك :

– لا تفسدي الأمور بترددك ، انها لعبة مسلية بالنسبة الي .. قتل زوجك كان لعبتك .. وانقاذ عنقك الجميل من حبل المشنقة هو لعبتي ؟

كنت دائماً أتمنى في قرارة نفسي ان تتاح لي فرصة لممارسة مواهبي البوليسية في جريمة واقعية ..

هل تستطيعين أن تفعلي كما قلت لك ؟

فأجابت لورا :

– نعم ..

فسألها ستارك :

– آه .. أرى في معصمك ساعة ، كم ساعتك الآن ؟

فنظرت إلى ساعتها وقالت :

– الحادية عشرة و ٥٠ دقيقة !

فضبط ساعته على هذا الوقت وقال :

– حسناً ، سأمنحك أربع دقائق .. كلا .. خمس دقائق ، لكي تذهبي إلى المطبخ لاحراق هذا الورق في الموقد ، ثم الصعود إلى غرفتك واستبدال ثيابك ، والانطلاق إلى غرفة مس بنيت لطلب قرص الأسبرين .

هل تكفي هذه المهلة ؟

وابتسم لها مطمئناً ..

فأطرقت برأسها علامة الايجاب !

قال :

– قبل ان ينتصف الليل بخمس دقائق تماماً ، ستسمعين صوت الطلق الناري .. والآن .. اذهبي .

فسارت لورا إلى الباب ، وهناك استدارت ، ونظرت اليه في قلق وجزع ..

فلحق بها ، وفتح الباب وهو يقول في همس :

– ماذا بك ؟ هل ستتخلين عني ؟

– كلا ..

– هذا حسن .

- ٤ -

ما كادت لورا تنصرف حتى أغلق ستارك البـاب ووقف يفكر فيما ينبغي عليه عمله .

نظر إلى ساعته ..

ثم أخرج سيجارة ومد يده إلى الولاعة التي تركتها لورا على المائدة بجوار الجثة ..

وقبل أن تصل يده اليها لمح صورة للورا فوق رف الكتب ، فقصد إلى الرف ، وتناول الصورة وتأملها وابتسم ..

ثم أعادها إلى مكانها ، وعاد إلى حيث كانت الولاعة فأشعل سيجارتـه ووضع الولاعة على المائدة .

وبعد لحظة قصيرة ، أخرج منديله وأزال به آثر البصمات على المقـاعد واطار الصورة والمكتب ، وأفرغ منفضة السجاير في جيبه .

وبحث عن بقـــايا الصحيفة التي مزقها ، ووجد قصاصة قصيرة تحت المكتب ، فطواها ووضعها في جيبه .

ثم أعاد ترتيب أدوات المكتب وأعاد كل شيء إلى مكانه .

وأخيراً وقف في وسط الغرفة وأجـال البصر حوله ليطمئن إلى أن كل شيء على ما يرام .

وبعد ذلك ارتدى معطفه وتناول المسدس وتحقق من أنه محشو ، وبعد أن أزال عنه آثار البصمات .

نظر إلى ساعته ، ووقف في وسط الغرفة وصوب فوهة المسدس إلى الجدار . وأطلقه .

وعلى الأثر ، سمع ضجة في الطابق الأول ، فوضع المسدس في جيبه واندفع إلى الخارج عبر باب الحديقة ..

ولكنه ما لبث أن عاد مهرولاً .. ليلتقط مصباحه الكهربائي ، ويطفيء نور الغرفة .

ثم يندفع إلى الخارج .

* * *

كانت لورا في غرفة مس بنيت وقرص الاسبرين في يدها عندما سمعت صوت الطلق الناري ، فنظرت إلى مس بنيت وقالت وهي تصطنع الدهشة والفزع :

– ما هذا ؟

فقالت مس بنيت وهي تبتسم :

– انه ريتشارد بغير شك ، وقد عاد إلى ممارسة هوايته المفضلة .

فأسرعت لورا إلى النافذة وفتحتها وأطلت منها .

وقالت :

– انني لا أرى سوى الظلام والضباب ، ويخيل اليّ انني سمعت صيحة ، هلمي بنا لنرى ما الخبر .

واندفعت المرأتان إلى السلم ، وخرج جان من غرفته على الأثر وصفق

الباب وراءه بشدة .

كان شاباً رقيقـــاً في نحو التاسعة عشرة من عمره ، له وجه بريء كوجوه الأطفـال .. وعينان واسعتان يتألق فيهما أحياناً بريق الخبث والدهـــاء ..

ويبدو أن الجلبة أيقظت مسز واربك العجوز من نومها ، فقد ارتفع صوتها وهي تصيح :

— ماذا حدث يا جـان ؟ لماذا يهرول الجميع في البيت في منتصف الليل ؟ ماذا حدث يا مس بنيت ؟ هل أصابكم مس من الجنون ؟ لورا .. جان .. ألا يخبرني أحد بما يجري في هذا البيت ؟

فصاح جان :

— انه ريتشارد .. قولي له أن يكف عن اطلاق مسدسه وايقاظنا من النوم .. كوني على حذر يا لورا ان ريتشارد انسان خطر ، وأنت كذلك يا مس بنيت كوني على حذر .

كانت مس بنيت ، رغم بلوغهـــا سن الخمسين ، تحتفظ بالكثير من الصفات التي تتميز بها العاملات في حقل التمريض ، فهي ذكية ، نشيطة ، ذات حيوية دافقة وذهن متوقد .

وقد وصلت مس بنيت إلى قاعة الاستقبال قبل غيرها ، فاضاءت النور واندفعت نحو المقعد المتحرك وهي تصيح :

— حقاً إنك اخفتنا يا ريتشارد ، كيف تطلق الرصاص في مثـل هذا الوقت من الليل ؟

ودخلت لورا في أعقابها .

وتبعها جان وهو يقول :

— ماذا جرى يا مس بنيت ؟

فصاحت هذه :

– يا إلهي .. لقد قتل نفسه ..

فهتفت لورا :

– قتل نفسه ؟ كيف ؟

وقال جان وهو يشير الى المائدة :

– ان مسدسه غير موجود .. لقد اختفى المسدس .

وهنا سمع ثلاثتهم صوتاً في الخارج يقول

– ماذا يجري هنا ؟

فنظر جان نحو باب الحديقة ..

ثم قال :

– يوجد شخص في الحديقة ؟

فقالت مس بنيت :

– ترى من عساه يكون ؟

واسرعت الى باب الحديقة . ولكن الباب فتح قبل ان تصل اليه .

ودخل ستارك وهو يقول :

– ماذا يجري هنا ؟

ووقع بصره على ريتشارد ..

فاقترب منه ، ونظر اليه ملياً وقال :

– هذا الرجل ميت . انه مصاب برصاصة في رأسه .

ونظر اليهم بارتياب :

فقالت مس بنيت :

– من أنت ؟ ومن أين جئت ؟

فأجاب :

– انني ضللت طريقي ، وسقطت سيارتي في حفرة ، ثم رأيت هـذا الباب فدخلته لأطلب المعونة ، أو لأتكلم بالتليفون ان وجـد . ولكني

ما كدت أتقدم بضع خطوات حتى سمعت دوي طلق ناري ، وخرج شخص من هذا الباب ، واصطدم بي في الظلام وسقط منه هذا ..

وبسط يده ..

فإذا بها مسدس !

فسألت مس بنيت :

– والى أين ذهب هذا الشخص ؟

– لا أعلم .. ان الظلام دامس والضباب كثيف ، ولا يستطيع الانسان أن يتبين موقع قدمه .

ووقف جان امام الجثة وراح يتأملها .

ثم صاح :

– لقد اطلق بعضهم الرصاص على ريتشارد .

فقال ستارك :

– يبدو هذا . ويحسن بكم أن تتصلوا بالبوليس على وجه السرعة .

قال ذلك ووضع المسدس على المائدة وتناول القدح وملأه بالشراب ، ثم أومأ برأسه نحو الجثة وقال :

– من هذا ؟

فأجابت اورا وهي تجلس على الأريكة :

- انه زوجي !

– لا بد انك صدمت .. اشربي هذا ؟

وقدم لها القدح ..

وابتسم ابتسامة خفيفة ليطمئنها .

ثم خلع قبعته والقى بها على احد المقاعد .

ولاحظ ان مس بنيت تتفرس في الجثة وتهم بأن تمد يدها اليها ، فتحول اليها بسرعة وقال :

– كلا .. لا تمسي شيئاً ، يخيل الي ان في الأمر جريمة ، فإذا صح ذلك فيجب ان يبقى كل شيء كما هو .

فاعتدلت مس بنيت واقفة وهتفت قائلة :

– جريمة ؟ مستحيل .

ودخلت مسز واريك في هذه اللحظة ..

كانت تتوكأ على عصا .. وكانت نظراتها وقسمات وجهها تنمان عن قوة شخصيتها !

قالت وهي تقف بالعتبة :

– ماذا جرى ؟

فأجاب جان :

– أطلق بعضهم الرصاص على ريتشارد .

فصاحت مس بنيت :

– صه يا جان ؟

فقالت مسز واريك وهي تومىء نحو ستارك :

– ماذا كان يقول هذا السيد ؟

فأجابت مس بنيت :

– كان يقول ان في الأمر جريمة .

فسارعت مسز واريك حتى اقتربت من الجثة ، فوقفت أمامها وقالت في همس :

– ريتشارد !

فصاح جان :

– أنظروا . إنني أرى ورقة تطل من جيبه .

ومد يده ليتناول الورقة ...

فمنعه ستارك بقوله :

– كلا . لا تمس شيئاً .
وجثا بجوار الجثة وأطل في الورقة ، وقرأ بصوت مسموع :

١٥ مـــايو
يوم الانتقام

فهتفت مس بنيت :
– ماكجريجور !

وانبعثت لورا واقفة كمن لدغتها أفعى .
وقطبت مسز واريك حاجبيها فقالت :
– هل تعنين .. ذلك الرجل .. والد الطفل الذي دهمته السيارة ؟

فتمتمت لورا تحدث نفسها :
– ماكجريجور . نعم .. هذا هو الاسم ؟

وصاح جان :
– أنظروا .. إن الحروف كلها منزوعة من الصحف ..
ومرة أخرى ، منعه ستارك من أن يمس الورقة ، فقال :
– لا تمسوا شيئاً حتى يحضر رجال البوليس .
واقترب من آلة التليفون واستطرد يقول :
– هل تسمحون لي ؟
فقالت مس بنيت :
– سأتصل أنا بالبوليس .
ولكن مسز واريك قالت بحزم :
– دعوني أفعل ذلك !
وهكذا أمسكت العجوز بزمام الموقف ..

جمعت شجاعتها ، وتناولت السماعة ..

وأدارت القرص ..

وقالت لمحدثها في هدوء ، وبصوت واضح النبرات :

– مركز البوليس ؟ هنــا قصر لانجلبرت .. قصر مستر ريتشارد واريك .. لقد وجــد مستر واريك ميتاً .. أصيب برصاصة قضت عليــه ..

- ٥ -

كانت الشمس المشرقة تبشر بيوم صحو يختلف تماماً عن سابقه ، فوضع الرقيب كادوالدر ملف الأوراق على المكتب وفتح باب الشرفة ، ووقف يتمطى .. ويتثاءب ..

ـ لم يكن قد غمض له جفن منذ أن تلقى مركز البوليس نبأ مصرع ريتشارد واريك !

وعاد الرقيب إلى الغرفه ليلتمس بعض الراحه ريثما يحضر المفتش توماس الذي أنيطت به مهمة التحقيق في القضية ، وإماطة اللثام عن سر الجريمة ..

ولكن الرقيب ما كاد يستقر في أحد المقاعد ، حتى دخل المفتش توماس ، فوضع حقيبة أوراقه على المائدة ، وخلع معطفه وتأهب للعمل .

فقال الرقيب :

– طاب صباحك يا مستر توماس .. من كان يظن أن الجو سيصفو بهذه السرعة بعد ضباب الأمس ، كان أسوأ ضباب شهدته في حياتي ، ولا عجب إذا كانت الحوادث قد تفاقمت في طريق كارديف .

فقال المفتش بإيجاز :

– كان من الممكن أن تقع حوادث أسوأ .

– لقد وقع حادث تصادم بشع بالقرب من بوتسكاول ، أسفر عن مقتل رجل وإصابة طفلين ، ووقع حادث آخر في ..

فقاطعه المفتش فقال :

– هل فرغ خبراء البصمات من مهمتهم ؟

– نعم يا سيدي ، فقد أحضرت صور البصمات وتقرير الخبراء ..

وأسرع إلى الملف وفتحه .

فقال المفتش وهو يجلس أمام المكتب :

– إذن لنبدأ بفحص البصمات ، هل صادفتكم متاعب في أخذ بصمات السكان ؟

– كلا يا سيدي .. كانوا جميعاً متعاونين .

– هذا امر يدعو إلى الارتياح ، ان اكثر الناس يعارضون في أخـذ بصماتهم .. ظناً منهم اننا سنضمها مع بصمات المجرمين .

ثم راح يتصفح أوراق الملف ويتلو أسماء أصحاب البصمات .. فقرأ :

– مستر واريك .. آه .. هذا هو القتيل .

مسز لورا واريك .. الزوجة !

مسز واريك .. الأم .

جان واريك .. الأخ .

مس بنيت ..

من هذا ؟ الخجل ؟

آه .. خادم مستر واريك حسناً !

مستر مايكل ستارك ..

لننظر الآن في توزيع البصمات ؟

على البـــاب ، وزجاجة الشراب ، والقدح .. توجد بصمات مستر ريتشارد واريك ، وانجل ، ومسز لورا واريك .. ومستر مـايكل ستارك !

وعلى الولاعة والمسدس ، توجد بصمات مايكل ستارك وحـده ، وذلك أمر طبيعي فإنه – على حد قوله – قدم قدح شراب لمسز لورا ، وأشعل لفافة تبغ بالولاعة ..

ووجد المسدس في الحديقة !

فقلب الرقيب شفته ..

ثم سأل بصوت ينم عن الارتياب :

– مايكل ستارك !!

فسأله المفتش :

– هل تشعر نحوه بنفور ؟

– ماذا جاء يفعل هنا ؟ ذلك ما أود معرفته ، أود أن أعرف لماذا دخل هذا البيت بالذات ، حيث وقعت جريمة القتل .

فرفع المفتش رأسه عن الأوراق .

ثم قال ساخراً :

– أنت نفسك كدت تودي بالسيارة في إحدى الحفر ليلة أمس ، ونحن في طريقنا إلى هذا البيت ، حيث حدثت جريمة القتل .

أما عن سبب وجوده في هذه المدينة ، فإنه جاء منذ أسبوع للبحث عن منزل صغير يشتريه !

وعاد إلى الأوراق ..

واستطرد يقول :

– يبدو أن جدته كانت تقيم في هذه المنطقة ، وانه كان يقضي اجازته عندها وهو صغير .

فهز الرقيب كتفيه ولم يجب .

قال المفتش :

– على كل حال ، نحن ننتظر تقريراً عنه من (عبدان) وسيصل التقرير بين لحظة وأخرى ، هل حصلت على بصمات لمقـــارنتها بالبصمات التي وجدت هنا ؟

– إني أرسلت اليه الرقيب جونز في الفندق الذي يقيم به ، فقيـل له أنه ذهب إلى احد الكراجات لاصلاح سيارته ، فاتصل به في الكراج وطلب اليه التوجه إلى مركز الشرطة في اقرب وقت ممكن .

– هـذا حسن .. والآن .. لننظر إلى البصمات الـتي لم يعرف أصحابهـا .

وجدت بصمة كف على المائدة بجوار الجثة ، كما وجدت على الباب من الداخل والخارج بصمات أخرى غير واضحة .

فصاح الرقيب بصوت من وفق إلى حل لغز عويص :

– آه .. لا بد إنها بصمات ماكجريجور .

فقال المفتش بعد تردد قصير :

– ربمـــا .. ولكننا لم نجد مثل هذه البصمات على المسدس ، إن أي انسان على شيء من الفطنة ، لا بد أن يلبس قفازاً في مثل هذه الظروف !

– إن رجلاً مختل الشعور مثل ماكجريجور لا يفكر في شيء كهذا .

فقال المفتش :

– ستصلنا أوصاف هذا الرجل من (نورويتش) بعد ساعات .

– مهما اختلفت وجهات النظر فإنها قصة محزنة ، رجل فقد زوجتـه حديثاً يفاجأ بمصرع ابنه الوحيد تحت عجلات سيارة يقودها مأفون مولع بالسرعة .

فقال المفتش في ضجر .

– لو كان مستر واريك قد قاد سيارته بجنون ، لقدمته السلطات ذات الشأن للمحاكمة ، بتهمة القتل الخطأ ، ولكن السلطات لم توجه اليه أي تهمة ، بل ولم تسحب منه رخصة القيادة ..

قال ذلك وفتح حقيبة الأوراق التي جاء بها .

وأخرج المسدس منها ..

أما الرقيب ، فإنه لم يقتنع بمنطق المفتش ..

فقال :

– ما اكثر الكذب وشهادة الزور في حوادث السيارات !

فتجاهل المفتش هذا التعقيب ؟

وانصرف إلى القضية التي جاء لتحقيقها .

– بصمة كف على المائدة بجوار الجثة .

ونهض والمسدس في يده ، وقصد إلى المائدة ، ودقق النظر فيها ، وهز رأسه ..

قال الرقيب :

– ربما كانت بصمة كف أحد الزائرين .

– لقد اكدت مسز واريك أنها لم تستقبل أحداً من الزائرين طوال يوم أمس . ولكن ربما كان الخادم يعرف أكثر من ذلك .. جئني به !

فخرج الرقيب ..

وانحنى المفتش فوق المائدة ، ووضع عليها كفه اليسرى ..

ثم رفعها ، ونظر إلى بصمتها

وبعد قليل ، خرج إلى الشرفة ..

ونظر يمنة ويسرة ..
ثم فحص قفل الباب .

* * *

وعندما عاد إلى الغرفة ، كان الرقيب قد أحضر النجل ، وهو رجل قصير القامة ، في نحو الثامنة والأربعين من عمره ..

حسن المظهر ..

هادىء الطباع !

سأله المفتش :

– هل أنت هنري النجل ؟

– نعم يا سيدي ..

فأشار المفتش إلى الأريكة وقال :

– اجلس !

وأسرع الرقيب فأغلق الباب ..

ثم جلس على مقعد ، وأخرج من جيبه دفتراً وقلماً وتأهب لتسجيل أقوال الخادم !

قال المفتش :

– هل كنت تعمل تابعاً وممرضاً لمستر ريتشارد واريك ؟

– نعم يا سيدي .

– منذ متى !

فرد النجل :

– منذ ثلاثة أعوام ونصف يا سيدي .

– وكيف كان العمل مع مستر واريك ؟
– كان شاقاً للغاية يا سيدي .

– ألم تكن لك امتيازات خاصة ؟
فأجاب الجل :
– كنت أتقـاضى أجراً مجزياً يا سيدي .. واستطعت أن اقتصد بعض المال !
وسأله المفتش :
– ماذا كنت تفعل قبل أن تلتحق بالعمل في خدمة مستر واريك ؟

– نفس العمل يا سيدي .. إنني ممرض مؤهل ، وسأقدم لك الشهادات التي حصلت عليها ممن عملت في خدمتهم .. كان بعضهم متعباً للغـاية ، واذكر على سبيل المثال سير جيمس واليسون ، انه الآن نزيل احد مصحات الأمراض العقلية ..
ثم أردف بصوت خافت :
– كان مدمناً للمخدرات .

فسأله المفتش :
– ومستر واريك .. هل كان يتعاطى المخدرات ؟
– كلا يا سيدي ، ولكنه كان مولعاً بالبراندي .
– هل كان يسرف في الشراب ؟

– نعم يا سيدي ، ولكنه لم يكن مدمناً ، هناك فارق بين الاسراف والادمان !
– ولكن ما كل هذا الذي يقال عن بنادقه ومسدساته ، واطلاق النار على الحيوانات الأليفة وغير الأليفة ؟
فرد الجل :
– تلك كانت هوايته يا سيدي .. أو كما يقول الأطباء .. الهواية

التي تعوضه عما فقد ، كان في وقت مـــا من كبار الصيادين .. وكان يحتفظ في مخدعــه بترسانة من الأسلحـــة .. بنادق ومسدسات وغدارات !

فقال المفتش وهو يشير إلى المسدس الذي وضعه على المائدة :

— أنظر إلى هذا المسدس .

فنهض انجل واقترب من المائدة ..

ووقف متردداً !

فقال المفتش :

— لا تخف .. في استطاعتك أن تتناوله ؟

فتناول انجل المسدس ..

وقال المفتش :

— أنظر اليه جيداً .. هل سبق أن رأيته ؟

فأجاب انجل :

— لا أستطيع أن اجزم بشيء يا سيدي .. انه يشبه بعد مسدسات مستر واريك .. ولكني لست خبيراً في الأسلحة .. ولا يمكنني ان اقرر هل هو نفس المسدس الذي كان على المائدة بجوار مستر واريك ليلة امس ، أم لا !

— الا يضع بجواره نفس المسدس كل ليلة ؟

— كلا يا سيدي .. انه يختار المسدس وفقاً لمزاجه .

فسأل المفتش :

— وماذا كانت فائدة المسدس في ليلة كثيفة الضباب كليلة أمس ؟

— انها مسألة تعود إلي يا سيدي !

— اجلس يا انجل .. اجلس .

فأعاد الخادم المسدس إلى المفتش وجلس على الأريكة .

سأل المفتش :

– متى رأيت مستر واريك آخر مرة ؟

– أمس في الساعة العاشرة إلا الربع . أحضرت زجاجة البراندي والقدح ووضعتها على المـــائدة بجواره وتمنيت له ليلة سعيدة .. وانصرفت !

فقال المفتش :

– ألم يذهب إلى فراشه ؟

فرد المجل :

– كلا يا سيدي .. إنه يقضي الليل في المقعد المتحرك ، وفي الساعة السادسة صباحاً ، أحمل اليــه الشاي ، ثم أدفعه بالكرسي المتحرك إلى الحمام حيث يحلق ويغتسل .. وجرت العادة أن ينام بعد ذلك إلى أن يحين موعد الغداء ، وقد فهمت أنه يعاني من الأرق ، ولذلك كان يفضل قضاء الليل في مقعده .

كان رجلا غريب الأطوار .

فنهض المفتش ووضع المسدس على المائدة ووقف أمام باب الحديقة ، وقال بعد صمت قصير :

– هل كان هذا الباب مغلقاً حين تركته ؟

فرد المجل :

– نعم يا سيدي .. كان الضباب كثيفاً جداً .

– هل كان موصداً بالقفل أو المزلاج ؟

– كلا يا سيدي انه لا يوصد أبداً .

- هل كان بوسعه أن يفتحه متى اراد ؟

– نعم يا سيدي . إن المقعد متحرك .. وكان في استطاعته أن ينتقل إلى الباب .

– فهمت ، هل سمعت صوت طلق ناري ليلة أمس ؟

فأجاب أنجل :

– كلا يا سيدي !

– أليس ذلك غريباً ؟

- إن غرفتي في الجانب الآخر من البيت ..

– هب ان سيدك شعر بحاجته اليك في وقت ما ، فماذا كان بوسعه أن يفعل ؟

– يضغط زراً فيدق الجرس في غرفتي .

– هل ضغط الزر ليلة أمس ؟

فرد أنجل :

– كلا يا سيدي ، ولو كان قد فعل لاستيقظت على الفور .. إن للجرس رنيناً مزعجاً !

– هل ..

وقبل أن يتم عبارته ..

دق جرس التليفون ..

فنظر انجل إلى الرقيب .. وهرول هـذا إلى التليفون وتناول السماعـة :

– آلو .. الرقيب كادوالدر .. آه .. نعم .

والتفت إلى المفتش وقال :

– مكالمة من نورويتش !

فتناول السماعة وسأل :

– آلو . أهذا أنت يا ادموندسن ؟ نعم .. أنا المفتش تومـاس .. هل تلقيت البيانات ؟ هذا حسن ؟ هذا حسن ، ماذا ؟ مدينة كالجـاري بكندا ؟ نعم .. نعم .. متى توفيت العمة ؟ منـذ شهرين ؟ والعنوان رقم

١٨ الشارع الرابع والثلاثون ، مدينة كالجاري .

ونظر المفتش إلى الرقيب ، وأشار اليه أن يسجل هـذا العنوان ، ثم استمر في الاصغاء إلى محدثه ..

قـال :

– نعم .. مهلا .. مهلا .. تقول إنه متوسط القامة ، أزرق العينين ، أسود الشعر ، طويل اللحية ، أنت تذكر القضية طبعاً ، رجل عنيف ، اليس كذلك ؟

شكراً لك يا أدموندسن . ولكن ما رأيك أنت ؟ نعم .. نعم ، شكراً مرة أخرى :.

ووضع السماعة ..

وقال يكلم الرقيب :

– حصلنا على بعض البيانات بشأن ماكجريجوار ..

يبدو أنه عاد من كندا عقب وفاة زوجته لكي يترك الطفل عنـد إحدى قريباته في (والسهام) .. لأنه كان يزمع السفر إلى (الاسكا) ، ولا يستطيع اصطحاب الطفل معه .. والظاهر ان مصرع الطفل ترك في نفسه أثراً بالغ السوء ، لأنه راح يقسم في كل مكان بأنه سوف يثـــأر لابنه وينتقم من واريك ..

وهذه التهديدات أمر مألوف في الحوادث المماثلة ..

ومهما يكن الأمر ، فإن ماكجريجور عاد إلى كندا ، وقد حصلت إدارة البوليس على عنوانه وأبرقت إلى كالجـاري للوقوف على مزيد من المعلومات عن نشاطه وتحركاته .

أمـا العمة التي كان في نيته أن يترك الطفل عندها فإنهـا توفيت منذ شهرين ..

ثم التفت إلى الجل فجأة وسأله :

ـ أظن انك كنت تعمل هنا وقت وقوع الحادث يا انجل ؟ اي مصرع الطفل تحت عجلات السيارة في (والسهام) .

فقال انجل :

ـ نعم يا سيدي .. وأنا أذكره جيداً !

ـ ماذا جرى بالضبط ؟

ـ كان مستر واريك يقود سيارته في الطريق الرئيسي عندما خرج طفل من أحد المنازل واجتاز الطريق ركضاً ، فلم يستطع مستر واريك أن يتفاداه .

ـ هل كان مسرعاً بالسيارة ؟

ـ كلا يا سيدي .. لقد ثبت في التحقيق بما لا يدع مجالاً للشك انه كان يسير في حدود السرعة المقررة .

ـ ذلك ما قاله هو !

فرد انجل :

ـ إنه الحقيقة يا سيدي .. وقد أيدته الممرضة وابرتون .. التي كانت معه في السيارة .. قالت ان سرعته كانت تتراوح بين عشرين وخمسة وعشرين ميلاً في الساعة .. وعلى ذلك قرر المحقق عدم مسئوليته عن الحادث ..

ـ ولكن والد الطفل كان له رأي آخر !

ـ هذا أمر طبيعي يا سيدي ..

ـ هل كان مستر واريك ثملاً ؟

فأجاب انجل :

ـ اظن انه شرب قدحاً من النبيذ يا سيدي !

والتقت عيون الرجلين ..

وأدرك المفتش على الفور إن الخادم قد كذب .

قـال :

ـ يكفي هذا الآن !

فنهض الخادم وسار إلى الباب وفتحه ..

ووقف متردداً لحظة ..

ثم استدار وقال :

ـ معذرة يا سيدي ، هل قتل مستر واريك بمسدسه ؟

ـ ذلك مـــا سوف نعرفه ، إن الشخص الذي اطلق عليه الرصاص اصطدم بمستر ستارك الذي جاء إلى هنـــا في طلب المعونة .. وكانت نتيجـة الاصطدام .. ان سقط المسدس من يد القاتـل ، فـــالتقطه مستر ستارك ..

واشار نحو المائدة ..

فقال الحجل :

ـ شكراً لك يا سيدي .

وهم الخادم بالانصراف ..

ولكن المفتش ابتدره بقوله :

ـ بهذه المناسبة .. هل جـاءكم زائرون آمس .. وخـاصة في المساء ؟

فتردد الحجل ..

ثم اجاب دون أن ينظر إلى المفتش :

ـ لست اذكر الآن يا سيدي .

وخرج ، وأغلق الباب وراءه ؟

فقال المفتش وهو ينظر إلى الباب :

ـ هذا رجل قذر .. وأنا أمقته ، انه كالزئبق لا تستطيع ان تضع اصبعك عليه .

فقال الرقيب :

– لقد ذكرت لك رأيي يا سيدي المفتش ، وما زلت أعتقـــد ان وراء حادث الطفل أموراً تزكم رائحتها الأنوف .

– وأنا أعتقد ان هذا الرجل الجل لم يصارحنا بكل مـــا يعرفه عن مصرع سيده ..

* * *

وفي هذه اللحظة ، فتح الباب ودخلت مس بنيت .

قالت :

– مسز واريك ترغب في مقابلتك يا سيدي .. اعني مسز واريك العجوز والدة ريتشارد .

– طبعاً .. طبعاً .. دعيها تدخل ؟

فأطلت مس بنيت من الباب وأومأت إلى مسز واريك .

ودخلت السيدة الوقور وهي تتوكأ على عصاها .

فحياها بقوله :

– طاب صباحك يا سيدتي ..

– أخبرني أيها المفتش ، إلى اي مدى وصل التحقيق ؟

– اننا ما زلنا في البداية يا سيدتي ، ولكن ثقي بأننـــا سنبذل قصارى جهدنا .

فقالت وهي تجلس على الأريكة وتضع العصا بجانبها :

– وذلك الشخص المدعو ماكجريجور .. هل شوهد مؤخراً في هذه المنطقـة ؟

– إننـــا نقوم بالتحريات اللازمة يا سيدتي ، ولم يثبت بعد وجود غرباء في المنطقة .

فقالت العجوز :

– يخيل الي ان مصرع الطفل ، الذي دهمته سيارة ريتشارد قد اطاح بعقل الرجل ، فقد قيل لي انه ثار ثورة عارمة ، وانه هدد وتوعد على مسمع من الكثيرين ، وطبيعي ان يفعل الأب الحزين ذلك وهو في ثورة غضبه ، اما بعد انقضاء عامين على الحادث ..

من غير المعقول الا يكون غضبه قد انفثأ خـــلال هذه الفترة الطويـلة ..

– نعم ، إنها فترة طويلة حقاً ..

فقالت العجوز :

– ولكنه اسكتلندي ، كما يـدل على ذلك اسمه ، والاسكتلنـديون مشهورون بالصبر والاصرار ..

– اخبريني يا سيدتي ، ألم يتلق ابنك رسالة تحذير أو تهديد ؟

– كلا .. لو انه تلقى مثل هذه الرسالة ، لأخبرنا ، ولضحك منها ساخراً ..

– ألم يكن لينظر اليها بعين الجد ؟

فردت العجوز :

– لقد تعود ريتشارد أن يسخر من الأخطار .

– بعد مصرع الطفل ، هل عرض ابنك على والد الطفل مبلغاً ما على سبيل التعويض ؟

– طبعـاً .. إن ريتشارد لم يكن بخيـلا .. ولكن العرض رفض باحتقـار .

– آه ..

وقالت العجوز :

– قيل لي أن زوجة ماكجريجور كانت قد توفيت ، وإن الرجل لم يبق له في الدنيا سوى ولده ، حقاً إنها لمأساة !

– ولكن الذنب ليس ذنب إبنك .

فصمت العجوز ولم تجب ..

قال المفتش :

– كنت أقول ان الذنب ليس ذنب ابنك .

– لقد سمعتك .

– يخيل الي انك لا توافقيني على هذا الرأي .

فقالت العجوز في شيء من الحيرة :

– كان ريتشارد مسرفاً في الشراب ، ومن المؤكد أنه كان ثملاً في ذلك اليوم !

– أيثمله قدح من النبيذ ؟

فأجابت مسز واريك وهي تضحك :

– قدح من النبيذ ؟ قلت لك انه كان يشرب بغير حساب .. هل ترى هذه الزجاجة ؟

واشارت إلى زجاجة البراندي ..

واستطردت قائلة :

– إنها تقدم اليه مملوءة كل مساء .. فيتركها فارغة في الصباح .

– إذن أنت تعتبرين ابنك مسئولاً عن الحادث ؟

فأجابت العجوز :

– طبعاً مسئول ، لم يخامرني قط أي شك في ذلك .

– ولكن المحقق لم يجد ما يدعو إلى مؤاخذته .

فضحكت العجوز مرة أخرى وقالت :

– ذلك بفضل تلك الممرضة الحمقاء ، مس واربرتون ، كانت مخلصة لريتشارد وأعتقد انه كافأها بسخاء .

فقال بحدة :

– هل انت واثقة مما تقولين ؟

– انا لست واثقة من شيء ، كل ذلك مجرد استنتاج واجتهاد شخصي إنما حدثتك بهذا ، لأنك تبحث عن الحقيقة ، وتريد أن تتـــأكد من وجود حافز للقتل ، والرأي عندي ان الحافز موجود ، ولكني لا اتصور بعد مرور كل هذا الوقت ان ..

فقاطعها المفتش قائلاً :

– هل سمعت شيئاً ليلة أمس ؟

فردت العجوز :

– انا نصف صماء كما تعلم ، ولم اكن أعرف شيئاً ، إلى ان سمعت جلبة ، ووقع اقدام كثيرة امام غرفتي ، فـــأردت استطلاع الأمر ، وجئت إلى هنا فاستقبلني جان بقوله · لقد اطلق بعضهم الرصاص عـلى ريتشارد .

وظننت في البداية أنها مزحة سخيفة !

– هل جان هو ابنك الأصغر ؟

– كلا .. انه ليس ابني .

فوجم المفتش ونظر اليها متسائلاً ..

فقالت :

– انني طلقت زوجي منذ سنوات طويلة ، فتزوج مرة اخرى ، وكان جان هو ثمرة زيجته الثانية .

وحين مات زوجي ، جاء الصبي للاقـــامة هنا ، وكان ريتشارد قد اقترن بلورا ، فعطفت لورا على الصبي وشملته برعايتها .

– وماذا عن ابنك ريتشارد ؟

– انني كنت احبه أيها المفتش ، ولكني لم اكن الجـــاهل عيوبه واخطاءه .. وهي عيوب واخطاء سببها في الغالب ذلك الحادث الذي اقعده وجعله كسيحاً ..

انه كان شاباً رياضياً مليئاً بالحيوية والنشاط .. فلما اقعده الحادث وشل حركته ، امتلأت نفسه بالمرارة .

– هل كان سعيداً في حياته الزوجية ؟

فقالت العجوز :

– ليست لدي اية فكرة عن ذلك .. هل ثمة أسئلة اخرى يا حضرة المفتش !

– كلا .. شكراً لك يا مسز واريك ، هل استطيع التكلم إلى مس بنيت ..

فأجابت العجوز وهي تنهض :

– نعم .. ولعلها الشخص الذي يستطيع امدادك بكل مـــا تريد من معلومات .. إنها امرأة عملية .. وعلى جانب كبير من الكفـــاية والذكاء ..

– هل تعمل عندك منذ وقت طويل ؟

فأجابت العجوز :

– نعم ، منذ سنوات طويلة ، كانت تعنى بجان وهو صغير ، وتسهم في رعاية ريتشارد .. بل انها شملتنا جميعاً برعايتها .. نعم ، انها المثل الاعلى في الأمانة والوفاء !

وانصرفت العجوز ..

وشيعها الرقيب ببصره حتى توارت ، ثم هز رأسه ، وقال يكلم المفتش :

– رجل سكير يعبث بكل هذه البنادق والمسدسات . لا بد انه كان معتوهاً .

– ربما ..

ودق جرس التليفون !

فتناول المفتش السماعة :

– نعم .. انا المفتش توماس .. تقول ان ستارك وصل ؟ هل اخذتم بصماته ؟ هذا حسن .. نعم ، نعم .. قل له أن ينتظرني ، سأحضر بعد نصف ساعة على الأكثر .. نعم .. اريد ان القي عليه بعض الأسئلة ، إلى اللقاء ..

- ٦ -

دخلت مسز بلنيت وهو يضع السماعة ..

فابتدرته بقولها :

– هل انت بحاجة اليّ ايها المفتش ؟ انني مشغولة كثيراً في هذا الصباح ..

فقال وهو ينهض من مقعده :

– نعم يا مس بنيت أنا بحاجة اليك ، اريد ان اسمع روايتك عن حادث السيارة التي دهمت الطفل في (نورفولك) .

– تعني طفل ماكيجريجور ؟

– نعم .. وقد قيل لي انك تذكرت الاسم بسرعة ليلة امس .

فأجابت وهي تغلق الباب :

– إن ذاكرتي قوية فيما يختص بالأسماء ..

– لا شك ان الحادثة كان لها انطباعها الخاص في نفسك ، هل كنت في السيارة وقت وقوعها ؟

فقالت مس بنيت :

– كلا .. التي كانت بالسيارة هي مس واربرتون ، ممرضة ريتشارد بالمستشفى في ذلك الوقت .

– هل حضرت التحقيق ؟

– كلا . ولكن ريتشارد روى لنا بعد عودته مـا جرى ، وقال ان الرجل هدده بالانتقام ، ولكننا لم نحفل بالتهديد في ذلك الوقت ، ولم نأخذه مأخذ الجد .

– هل كان لك رأي خاص في الحادث ؟

فسألت مس بنيت :

– أعني هل وقع الحادث لأن مستر واريك كان ثملا ؟

– أظن أن مسز واريك قالت لك ذلك .. ولكن لا ينبغي أن تصدّق كل ما قالته .. إنها تلقي اللوم دائماً على الخمر ، لأن زوجهـا كان سكيراً !

فسألها المفتش :

– أتصدقين إذن ما قاله ريتشارد واريك ، من انه كان يقود السيارة في حدود السرعة المسموح بهـا .. وانه لم يكن من الممكن أن يتجنب تلك الحادثة ؟

فأجابت مس بنيت :

– لا أرى سبباً يدعو إلى الارتياب في صدقه ، خاصة وان المرضة قد أيدته .

– هل يمكن الركون إلى نزاهة المرضة ؟

– أظن ذلك ، إن الناس لا يكذبون ببساطة في مثل هذه الأمور .

وهنا لم يستطع الرقيب ضبط شعوره ..

فتمتم يقول :

– لا يكذبون حقاً ! إن طريقتهم في وصف الحوادث أحيـاناً لا تدل فقط على انهم كانوا يقودون السيارة في حدود السرعة المسموح بها ، بل تكاد توحي بأنهم كانوا يسيرون إلى الوراء .

فنظر اليه المفتش مؤنباً ..
ورمقته مس بنيت في دهشة .

وقال المفتش بعد صمت قصير :

– ما أريد الوصول اليه ، هو ان الانسان في سورة غضبه وسخطه ، يمكن أن يهدد بالانتقام من الشخص الذي تسبب في مقتل طفله .. ولكنه إذا فكر في هدوء بعد ذلك ، وكان ما قيل في التحقيق هو الحقيقة ، فإنه لا بد أن يدرك أن ريتشارد لا ذنب له في تلك الحادثة .

فرد الرقيب :

– آه .. فهمت ماذا تعني .

– اما إذا كان قائد السيارة قد قادها بسرعة جنونية ، أو لم يكن في تمام وعيه !

فسألت مس بنيت :

– هل قالت لك لورا ذلك ؟

– لماذا تظنين انها هي التي قالت ذلك ..

فاضطربت وارتبكت وقالت :

– لا أعلم .. انه مجرد سؤال .

ثم نظرت إلى ساعتها وقالت :

– هل ثمة أسئلة اخرى يا سيدي ؟ قلت لك انني مشغولة كثيراً في هذا الصباح .

فقال المفتش :

– هذا كل ما هنالك في الوقت الحاضر يا مس بنيت :

فنهضت وأسرعت إلى الباب ..

وقبل ان تفتحه ..

قال المفتش :

– اريد أن اتكلم إلى جان ..

فاستدارت مس بنيت تقول :

– أكون شاكرة إذا عدلت عن ذلك يا سيدي ، انه متوتر الأعصاب اليوم ، فقد نجحت في تهدئته بعد جهد كبير .

فقال المفتش :

– أنا آسف يا مس بنيت ، ولكن لا مناص من استجوابه .

فأغلقت مس بنيت الباب بإحكام ..

وعادت أدراجها إلى المفتش .

فقالت :

– لماذا لا تبحث عن ماكجريجور وتستجوبه ؟ انه لا يمكن أن يكون قد ذهب بعيداً ..

– سوف نجده ، فاطمئني ..

فردت مس بنيت :

– ارجو ذلك .. الانتقام ! إن الأديان السماوية لا تقر الانتقام .

فقال المفتش بلهجة لها مغزاها :

– سيما وان مستر واريك غير مسؤول عن الحادثة ، ولم يكن بوسعه ان يتجنبه ..

فنظرت اليه مس بنيت بحدة ..

وتلاقت عيونهما طويلاً ..

واخيراً قال المفتش مرة اخرى :

– ارجوك .. اريد التكلم إلى جان .

فأجابت وهي تتحرك نحو الباب :

– لا أعلم إذا كنت سأجده أم لا ، ربما يكون قد خرج .

فنظر المفتش إلى الرقيب .. ونهض هـــذا على الفور ، وخرج للبحث

عن الشاب ..

فقالت مس بنيت للرقيب :

– حاول ألا تضايقه .

ثم عادت إلى الغرفة ، فقالت المفتش :

– لا تضايقوا هذا الشاب فإنه سريع الانفعال .

– هل يلجأ عادة إلى العنف ؟

– كلا .. انه لطيف ووديع كالحمل ، ولكني لا أريدكم أن تزعجوه ، إن الحديث عن جرائم القتل يزعج الأطفال ، وجان بتكوينه وتخلفه العقلي لا يعدو ان يكون طفلاً .

فقال المفتش وهو يجلس امام المكتب .

– اطمئني يا مس بنيت .. اؤكد لك اني افهم الموقف حق الفهم .

- ٧ -

وفتح الباب ..
ودخل جان والرقيب ..

وواصل الشاب السير حتى وصل الى حيث يجلس المفتش وسأله :
– هل طلبتني ؟ هل قبضت على القاتل ؟

فقالت مس بنيت تحذره :
– مهلاً يا جان ، مهلاً .. اجب فقط على ما يلقى عليك من أسئلة .
فتحول اليها الشاب وأجاب :
– سأفعل ذلك ، ولكن ألا استطيع أن القي شيئاً من الأسئلة ؟

فتحول اليها الشاب وأجاب :
– سأفعل ذلك .. ولكن ألا استطيع ان القي شيئاً من الأسئلة ؟
فأجابه المفتش في رفق :
– طبعاً تستطيع !

فجلست مس بنيت على طرف الأريكة وهي تقول :
– سأنتظر هنا .
فنهض المفتش على الفور وسار إلى الباب وفتحه ..
وقال يكلم مس بنيت :

– كلا يا مس بنيت ، وشكراً لك .. فإننا لن نحتاج اليك ، وبعد ألم تقولي انك مشغولة كثيراً اليوم ؟

فقالت مس بنيت :

– اني أفضل البقاء هنا .

فقال بحدة :

– أنا آسف ، نحن نفضل استجواب الناس فرادى .

فنظرت اليه مس بنيت ، وأدركت من ملامح وجهه ألا سبيل إلى المناقشة .

فتنهدت في ضيق ، وغادرت الغرفة ..

وأغلق المفتش الباب ..

بينما تأهب الرقيب لتسجيل أقوال الشاب .

وعاد المفتش إلى مكانه أمام المكتب ..

ثم قال يسأل جان :

– اظن انك لم تشهد قبل الآن حادثة قتل .

فأجاب جان بحدة :

– كلا .. كلا . وأنه لشيء مثير ، هل عثرت على أي أثر أو بقعة دم ، أو بصمات أصابع ؟

– هل يثيرك منظر الدم ؟

فأجاب الشاب بهدوء تام وبلهجة جدية :

– كثيراً . انني احب الدم ، ومنظره الجميل ، وحمرته القانية .. كان ريتشارد يطلق الرصاص على الحيوانات والطيور فتنزف دماً .. أليس مما يبعث على الضحك أن يطلق بعضهم الرصاص على ريتشارد ، كما كان هو يطلق الرصاص على الحيوانات والطيور ؟

فأجاب المفتش في هدوء :

– ذلك من سخرية القدر .. ولكن حدثني ، هل أزعجك كثيراً موت أخيك ؟

فرد جان :

– أزعجني . موت ريتشارد ، ولماذا أنزعج ؟

فقال المفتش :

– ظننت انك كنت تحبه .

فقال الشاب في دهشة :

– أحبه ؟ أحب ريتشارد .. كلا .. لا احد كان يمكن أن يحبه ..

– أظن أن زوجته كانت تحبه .

فأجاب الشاب :

– لورا ؟ لا أعتقد ذلك .. إنها كانت دائماً تقف إلى جانبي .

– إلى جانبك ؟

فرد جان :

– نعم .. عندما كان ريتشارد يريد ابعادي .

– ابعادك ؟ إلى أين ؟

– إلى احد تلك الأماكن ، حيث يغلقون عليك الأبواب ولا تستطيع الخروج .. قال لي ان لورا ستزورني هناك احياناً ، ولكني لا أحب أن تغلق علي الأبواب ..

أحب الأبواب المفتوحة والنوافذ المفتوحة حتى اشعر بأنني استطيع الخروج حينما أشاء ..

والآن .. وقد مات ريتشارد ، ولن يستطيع أحد أن يغلق علي الأبواب .. اليس كذلك ؟

فقال المفتش :

– نعم يا بني ولكن لماذا أراد ريتشارد أن يفعل بك ذلك ؟
فقال جان :
– قالت لي لورا انه كان يقول ذلك فقط لمضايقتي .. وان كل شيء سيكون على ما يرام .. وإنها لن تسمح بابعادي طالما هي في هذا البيت ..

انني أحب لورا .. احبها كثيراً ، واشعر بسعادة لا حد لها حين العب معها .. وحين نطارد الفراشات الجميلات ونبحث عن بيض العصافير معاً .

فقال المفتش بلطف :
– أظن انك لا تذكر شيئاً عن حادثة وقعت خلال إقامتكم في نورفولك .. حادثه طفل دهمته سيارة ..
– إنني اذكر هذه الحادثة جيداً ، واذكر انهم استدعوا ريتشارد للتحقيق ..

– حقاً ؟
– كنا في ذلك اليوم نتناول غذاء من السمك ، وعاد ريتشارد والممرضة ، وكانت الممرضة واجمة ، اما ريتشارد فكان يضحك .
– تعني بالممرضة مس واربرتون ؟
فأجاب جان :
– نعم . اني لا أحبها كثيراً ، ولكن ريتشارد كان راضياً عنها في ذلك اليوم وقال لها (أحسنت) .

* * *

وفتح الباب في هذه اللحظة ودخلت لورا ..

ورآها جان ..

فأشرق وجهه وابتسم لها وصاح :

– ها هي لورا ..

فقالت معتذرة :

– هل أزعجتكم ؟

فأجاب المفتش :

– كلا يا سيدتي .. تفضلي بالجلوس .

فقالت وهي تجلس على طرف الأريكة :

– هل جان ..

– كنت أسأله عما إذا كان يذكر شيئاً عن حادث الطفل في نورفولك ، أعني طفل ماكجريجور !

فسألته لورا :

– هل تذكر هذه الحادثة يا جان .

– طبعاً اذكرة .. انني أذكر كل شيء .. ألم أحدثك عنها ايها المفتش ؟

فقال المفتش :

– ماذا تعرفين انت عن الحادثة يا سيدتي ؟ هل ناقشتموه على مائدة الطعام في ذلك اليوم ، عقب التحقيق ؟

فأجابت لورا :

– لست أذكر !

فوثب جان من مقعده بسرعة وصاح :

– هل نسيت يا لورا ! هل نسيت عندما قال ريتشارد (ما أهمية طفل بالزيادة أو بالنقص في هذا العالم المزدحم) ..

فقالت لورا وهي تنهض :

– أرجوك يا سيدي المفتش ..

– مهلاً يا سيدتي ، إن من المهم جداً ، كما تعلمين – أن نعرف حقيقة الحادث لصلته الوثيقة بمصرع زوجك ، فالفكرة السائدة هي أن حادثة الطفل هو الدافع إلى جريمة القتل .

فقالت لورا :

– أعلم ذلك .

– المفهوم مما قالته حماتك أن زوجك كان ثملاً ..

فتمتمت لورا :

– لا غرابة في ذلك ، فقد كان مولعاً بالشراب .

– هل رأيت ذلك الرجل المدعو ماكجريجور ؟

– كلا .. لم أره ، لأنني لم أحضر التحقيق .

فقال المفتش :

– قيل انه كان ثائراً ومصمماً على الانتقام .

– يبدو ان الصدمة أثرت على قواه العقلية .

وكان جان يصغي إلى ما يقال باهتمام شديد ، ويزداد انفعالاً من لحظة لأخرى ..

فلما تكلم المفتش عن الانتقام ..

وثب من مقعده وصاح في حماسة :

– لو كان لي عدو لانتظرت وقتاً طويلاً مثله ، ثم تسللت تحت جنح الظلام والمسدس في يدي . و . و ..

وبسط يده وحرك سبابته مراراً ..
كما لو كان يصوب مسدساً ويطلقه ..

فصاحت به لورا :
– اصمت يا جان .
– هل أنت غاضبة مني يا لورا ؟
– كلا ايها العزيز .. إنني لست غاضبة ، ولكني لا اريدك ان تنفعـل ..

فأجابها جان :
– اني لست منفعلاً .
قال المفتش :
– انعد الآن إلى ..
ولم يتم عبارته ، فقد حدثت جلبة في الخارج وقال صوت عرفت لورا على الفور انه صوت ستارك .

كان يقول :
– طاب يومك يا مس بنيت .. اين المفتش توماس ؟ إني اريـد التكلم اليه .. هل هو في قاعة الاستقبال ؟
فأجابته مس بنيت :
– طاب يومك يا مستر ستارك ، طاب يومك أيها الرقيب ، نعم . انه في قاعة الاستقبال ولا اعلم ماذا يجري هناك .

فقال صوت آخر لم تعرف لورا صاحبه :
– طاب يومك يا سيدتي .. إني أحضرت هذه الأوراق للمفتش . أرجوك أن تسلميها اليه ، او إلى الرقيب كادوالدر .
فنظرت را إلى المفتش ..
وسألت :

– من هذا ؟

فأجاب المفتش :

– انه الرقيب جونز ، ويبدو انه أحضر لي بعض الأوراق

ثم تحول إلى كادوالدر وقال له :

– أرجو أن تتسلم منه الأوراق ايها الرقيب .

وقبل أن يبرح الرقيب مقعده ..

فتح الباب بعنف ودخل ستارك .

- ٨ -

كان انطباع اورا عن مايكل ستارك انه رجل هادىء الطبـاع إيجابي التفكير ، عملي في تصرفاته وسلوكه .

ولذلك كانت دهشتها لا حد لهـا حين وجدته يدخل ثائراً ، وشرر الغضب يتطاير من عينيه .

كان يصيح وهو يجتاز الغرفة في طريقه إلى المفتش :

– أصغ إلي أيها المفتش توماس ، اني لا أستطيع ان أقضي النهار كله في مركز الشرطة .. طلبوا الي ان أذهب اليهم فذهبت ، ثم طلبوا بصمات اصابعي فوافقت ..

وأخيراً طلبوا الي أن انتظرك بضع دقائق فانتظرتك ساعة ، إن لدي أعمالي الخاصة ، وانا الآن على موعد مع اثنين من سماسرة البيوت .. ولا يسعني التخلف عن هذا الموعد !

وكف عن الكلام ليلتقط أنفاسه ..

وعندئذ فقط وقع بصره على اورا ..

فقال في هدوء :

– طاب يومك يا مسز اورا .. أنا آسف !

– طاب يومك يا مستر ستارك .

فقال المفتش :

– لقد اردت أن أسألك يا مستر ستارك ، هل حدث ليلة أمس انك وضعت إحدى يديك على هذه المائدة ، وفتحت الباب المؤدي إلى الحديقة باليد الأخرى ؟

فرد ستارك :

– لا أعلم .. ربما فعلت ذلك ، ولكني لا اذكر تماماً .

وعاد الرقيب وبيده ملف ..

فقدمه إلى المفتش وهو يقول :

– جاء الرقيب جونز بهذا الملف ، وهو يتضمن بصمات مستر ستارك وتقرير خبير الأسلحة !

فقال المفتش :

– دعني أرى ..

وتناول المفتش الملف وتصفحه بسرعة ، وقال :

– تمـامـاً .. الرصاصة التي قتلت مستر ريتشارد واريك أطلقت فعلاً من هذا المسدس .. أما بصمات مستر ستارك فسأبحثها فوراً .

وأخرج من حقيبة أوراقه تقرير خبراء البصمات .

بينما نظر جان إلى ستارك في فضول ..

وسأله :

– هل أنت قادم حقاً من (عبدان) ما رأيك فيها ؟

فأجابه ستارك :

– حرها شديد ..

ثم التفت الى لورا وسألها :

– كيف أصبحت اليوم يا مسز لورا ؟ أراك أفضل حالاً ممـا كنت بالأمس !

– نعم ، شكراً لك .. فقد مرت الأزمة .

وهنا رفع المفتش رأسه وقال :

– هذا يحسم الموضوع .. إنها ليست بصماتك يا مستر ستارك .

فأجاب ستارك :

– أية بصمات تعني ؟

– إن بصماتك واضحة على الباب والزجاجة والقدح والولاعة ، أما بصمة الكف التي على المائدة فإنها ليست لك .. ولا لأي واحد ممن حصلت على بصماتهم .. وهذا يحسم الموضوع ، وحيث انه لم يأت زائرون ليلة امس ..

ونظر إلى لورا ، فقالت :

– كلا .. لم يأت زائرون ليلة امس .

فمضى المفتش في حديثه ..

قـــال :

– وحيث انه لم يأت زائرون ليلة أمس ، فلا بد أن تكون هـذه هي بصمة ماكجريجوار .

فهتف ستارك وهو ينظر إلى لورا :

– بصمة ماكجريجوار ؟

فقال المفتش :

– هل يدهشك ذلك ؟

فأجاب ستارك :

– نعم ، إذ المفروض انه استخدم قفازاً .

– انه استخدم القفاز عندما استعمل المسدس !

فالتفت ستارك إلى لورا وسألها :

– هل سمعتم ما يوحي بوقوع شجار بين القاتل وضحيته ! ام انكم لم

تسمعوا شيئاً سوى الطلق الناري !

فقالت لورا :

– الواقع إننــــا .. اعني أنا ومس بنيت . لم نسمع سوى الطلق الناري ، ولو قد حصل شجار لما وصل إلى أسماعنا في الطابق الأول .

* * *

وفي هذه اللحظة ، فتح الباب المؤدي إلى الحديقة ، ودخل رجــل وسيم في نحو السادسة والثلاثين من عمره ، تدل مشيته وحركاته على أنــه من العسكريين .

ولم يكد جان يرى الزائر حتى ابتهج وصاح :

– جوليان ، جوليان !

فنظر اليه جوليان بسرعة .

ثم تحول الى لورا وقال في حزن :

– كم أنا آسف يا لورا!!! لم أعلم بما حصل الا منذ لحظات .

فقال المفتش :

– طاب يومك يا ميجور فارار .

فالتفت اليه جوليان وقال :

– حادث مؤسف حقاً ايها المفتش ، مسكين ريتشارد !

فصاح جان :

– كان ميتاً في مقعده ، وفي جيبه ورقة ، هل تعرف مــاذا كان مكتوباً فيهـا .. كان مكتوباً فيها : (يوم الانتقام) .. اليس ذلك مثيراً ..

فقال جوليان وهو ينظر نحو جان متسائلاً :
– طبعاً .. طبعاً !
– ولاحظ المفتش نظرة جوليان الى ستارك ..

فقام بمهمة التعريف ، قال :
– مستر مايكل ستارك ، ميجور جوليان فارار ، المرشح لعضوية مجلس النواب في الانتخابات الفرعية التي تجري الآن .
فشد كل من الرجلين على يد الآخر ..

وقال المفتش :
– ان مستر ستارك رأى القاتل وهو يفر من الحديقة ليلة امس .
فقال ستارك :
– الواقع ان سيارتي سقطت في حفرة .. فدخلت هذا البيت في طلب النجدة !
فسأله جوليان :
– في أي اتجاه فر القاتل ؟
– ليس لدي أية فكرة ، انه اختفى في الضباب كما لو كان ذلك بسحر ساحر .
فقال جان :
– ألا تذكر يا جوليان انك قلت لريتشارد ان شخصاً مـا سوف يقتله رمياً بالرصاص في أحد الأيام ؟

فساد صمت عميق ، وتحولت كل الأنظار إلى جوليـــان الذي رد بعد لحظة :
– أنا قلت له ذلك .. لا أذكر .

فقال جان :
– حدث ذلك حول مائدة العشاء ، وكنتما تتناقشان ، فقلت له :

سوف يطلق أحد الناس الرصاص على رأسك يوماً ما يا ريتشارد

فقال توماس :

– يا لها من نبوءة عجيبة !

فتنهد جوليان ..

وقال وهو يجلس على أحد المقاعد :

– الواقع ان الناس ضاقوا بريتشارد وسلوكه ومسدساته ، كان مصدر ازعاج للكثيرين ..

هل تذكرين (غريفيث) يا اورا ؟ ذلك البستاني الذي طرده ريتشارد في العام الماضي ؟ انه قال لي أكثر من مرة : « سأذهب يوماً إلى مستر واريك واقتله بمسدسي » .

فقالت اورا :

– إن غريفيث لا يقدم على عمل كهذا .

فقال جوليان بسرعة :

– كلا .. كلا ، لا أعني انه الذي ارتكب هذه الجريمة ، انما اردت فقط أن أعبر عن شعور الناس نحو ريتشارد ، وأن أقدم أنموذجاً مما يقولونه عنه ، ويضمرونه له

وحاول أن يخفي ارتباكه ..

فأخرج من جيبه علبة تبغ ، وتناول منها سيجارة ، واستطرد قائلاً وهو ينظر الى اورا .

– ليتني اتيت إلى هنـــا ، ليلة الأمس .. كان في نيتي أن أفعل ذلك .

فقالت اورا في هدوء :

– لم يكن في استطاعتك أن تسير وسط ذلك الضباب الذي لم يسبق له مثيل

فقال جوليان :

– كلا .. الواقع اني دعوت أعضاء لجنتي الانتخابية لتناول العشاء عندي ، وبعد العشاء مباشرة ، لاحظوا بوادر الضباب فانصرفوا مبكرين وخطر لي عندئذ ان أجيء لزيارتكم ، ثم عدلت .

وكان يتكلم ويبحث في جيوبه عن شيء ..

ثم قال وهو يجيل البصر حوله :

– ألا أجد مع أحدكم عود ثقـــاب ؟ يبدو انني أضعت ولاعتي في مكان ما .

وفجأة ، رأى الولاعة على المائدة ، حيث تركتها لورا ، في الليلة السابقة ..

فهتف :

– آه .. ها هي هناك ، لم أكن أدري أين تركتها .

ونهض ليتناول الولاعة .

ولم يفت ستارك ملاحظة ذلك كله ..

ولكنه لم ينطق بكلمة ..

وقالت لورا فجأة ..

ولعلها أرادت ان تصرف الأذهان عن موضوع الولاعة :

– جوليان ..

ومدت اليه يدها في طلب لفافة تبغ .

فقدم لها سيجارة وهو يقول :

– لشد ما آلمني هذا الذي حصل يا لورا .. هــــل أستطيع عمل شيء ؟

فقالت لورا :

– شكراً ، شكراً .. أنا أدرك شعورك .

وكان جان طوال الوقت يتطلع إلى ستارك بفضول واعجاب ، ولم يلبث أن يسأله :

– هل تجيد اطلاق النار يا مستر ستارك ؟ أنا أجيده ، فقد كان ريتشارد يسمح لي بالتدريب أحياناً .. ولكني لم أبرع في ذلك مثله ..

– أحقاً ؟ بأي سلاح كنت تتدرب ؟

وبينما كان ستارك منصرفاً الى الحديث مع جان ، وتوماس والرقيب في شغل بأوراقهما ..

انتهزت اورا الفرصة للتكلم الى جوليان .

قالت له بصوت خافت :

– يجب ان اتكلم اليك يا جوليان .. يجب !

فهمس قائلا

– كوني على حذر .

وقال جان رداً على سؤال ستارك

– ببندقية عيار ٢٢ ، انني أجيد اصابة الأهداف ، اليس كذلك يا جوليان ؟ هل تذكر يوم ذهبنا الى مدينة الملاهي وصوبت البندقية على قنينتين وأصبتهما ؟

فرد جوليان

– ذلك صحيح ، انك قوي البصر وهذا هو المهم !

فارتسمت على شفتي الشاب ابتسامة سعيدة ، واستدار ليراقب المفتش وهو يتصفح أوراقه ..

أما ستارك فإنه تناول لفافة تبغ ..

وقال يستأذن اورا .

– هل تسمحين لي بالتدخين ؟

فقالت له بصوت خافت

- طبعاً .. طبعاً .

فالتفت الى جوليان وقال

- هل تسمح لي بالولاعة ؟

- بلا شك .. ها هي !

وتناول ستارك الولاعة وتأملها وقال

- ولاعة جميلة .

واشعل سيجارته ..

وهمت لورا بأن تقول شيئاً ، ثم امسكت .

وقال جوليان

- نعم .. انها من النوع الجيد !

ففحص ستارك الولاعة مرة أخرى ، ثم نظر الى لورا بسرعة ، ورد الولاعة لصاحبها قائلاً

- أشكرك !

وقال جان يكلم المفتش

- هل تعلم ان لدى ريتشارد مجموعة كبيرة من البنادق ! وان بينها بنادق خاصة تستعمل فقط في صيد الأفيال ، هل تريد ان تراها ؟ انه يحتفظ بها في غرفة نومه .

فقال المفتش وهو ينهض

- لا بأس من ان القي عليها نظرة .. هلم بنا .

ونظر اليه وابتسم ، واستطرد يقول :

- هل تعلم يا جان انك ساعدتنا كثيراً ، يخلق بنا ان نضمك الينا لتعمل معنا !

ثم تحول الى ستارك وقال

– لا اظن اننا سنحتاج اليك الآن يا مستر ستارك ، وفي استطـاعتك أن تذهب لمباشرة أعمالك ، فقط أرجوك أن تظل على اتصال بنا .

قال ذلك وانصرف مع جان وتبعهما رقيب الشرطة ..

ونظر ستارك إلى لورا وقال :

– يجب أن اذهب الآن لأرى ماذا فعلوا بالسيارة ، انني لم أرهـــا ونحن في طريقنا إلى هنا الآن . ويبدو أن العمال أخرجوها من الحفرة .

قال ذلك وخرج من باب الحديقة إلى الشرفة ، ونظر حوله ، وهتف في دهشة :

– لكم يبدو كل شيء مختلفاً في ضوء النهار !

ولم يكد ستارك يتوارى في الشرفة حتى أسرعت لورا إلى جوليان وقالت له هامسة .

– جوليان .. تلك الولاعة ، انا قلت إنها ولاعتي .

– قلت إنها ولاعتك ؟ لمن قلت ذلك .. للمفتش ؟

– كلا .. له .

وأومأت برأسها نحو الشرفة .

فسألها جوليان :

– لذلك . لذلك الرجل ..

ولم يتم عبارته ..

فقد رأى ستارك يروح ويغدو في الشرفة

ورفعت اصبعها إلى شفتيها وقالت محذرة :

– صه .. أخشى ان يسمعنا

فقال جوليان هامساً :

– من هو ؟ هل تعرفينه ؟

– كلا لا أعرفه . وقع حـــادث لسيارته ليلة أمس ، فدخل

البيت عقب !

فقال وهو يضع يده على مسند الأريكة ، فوق يدها :

– دعك من ذكر ذلك الحادث المروع يا عزيزتي ، كل شيء سيكون على ما يرام فاطمئني .

– والبصمات يا جوليان ..

– أية بصمات ؟

– البصمات التي وجدت على المائدة .. وعلى زجاج الباب ، هل هي بصماتك ؟

فرفع جوليان يده من فوق يدها بسرعة ، وأشار نحو الشرفة .

فقالت بصوت مرتفع دون ان تنظر خلفها :

– شكراً لك يا جوليان . أنا أعلم انك تستطيع أن تفعل الكثير من أجلنا !

قالت ذلك وقعدت على مقعد أمام جوليان ، ونظرت إلى باب الحديقة ولم ترَ ستارك ..

فقالت في همس :

– هل هي بصماتك يا جوليان ؟ فكر جيداً .

– على المائدة ؟ أظن انها بصماتي ..

– يا إلهي ، وماذا سنفعل ؟

ومر ستارك بالشرفة ..

فصمتت وأرسلت من فمها سحابة من الدخان ، وانتظرت حتى توارى ستارك مرة أخرى ..

ثم قالت :

– ماذا سنفعل ؟ فقد ظن المفتش أنها بصمات ماكجريجور .

– هذا حسن ، ربما سيظل يظن ذلك .

– ولكن هب أن ..

– يجب أن اذهب الآن ، إن لدى موعداً هاماً .

ونهض وقال وهو يربت على كتفها :

– سيكون كل شيء على ما يرام يا عزيزتي ، فلا تنزعجي .

ودخل ستارك في هذه اللحظة ، والتقى بجوليان امام باب الشرفة وهتف :

– هل ستذهب الآن ؟

– نعم .. اني مشغول هذه الأيام بسبب الانتخـابات الفرعية التي ستجري بعد أسبوع ..

– معذرة عن جهلي ، فإني لا اتابع أنباء السياسة الداخلية ، مع أى حزب أنت ؟ حزب المحافظين ..

– كلا .. حزب الأحرار .

– ألا يزال هذا الحزب على قيد الحياة .

وابتسم ساخراً ..

فنظر اليه جوليان بامتعاض وانصرف .

* * *

وساد الصمت لحظة ..

وسرعان ما تلاشت الابتسامة على شفتي ستارك ، وقال وهو يهز رأسه وينظر إلى لورا بحدة :

– الآن بدأت ان أفهم .

– ماذا تعني ؟

.. – هذا الشخص عشيقك ، اليس كذلك .. تكلمي .
فردت في تحد :
– ما دمت قد سألت ، فالجواب هو : نعم .
– يبدو أن هناك أشياء كثيرة لم تصارحيني بها ليلة البارحة ، اليس كذلك ؟ لهذا خطفت الولاعة بسرعة ، وزعمت أنها ولاعتك .
منذ متى بدأت العلاقة بينك وبين هذا الشخص .
– منذ بعض الوقت .
– لماذا لم تهربي معه اذن .
– لأسباب كثيرة ، أهمها الحرص على مستقبله السياسي .
فجلس ستارك على مقعد ، وبدا الضيق واضحاً على وجهه .. قال
– لم تعد لهذه الاعتبارات اهمية في هذه الأيام ، اكثر الساسة يرتكبون الفحشاء بمثل البساطة التي يدخنون بها لفافة تبغ .
– هناك اعتبارات خاصة ، فقد كان جوليان صديقاً لريتشارد ، وكان ريتشارد كسيحاً ..
– آه .. حقاً .. انها اعتبارات تسيء إلى سمعة صاحبك ومركزه ،
– هل كان ينبغي ان احدثك بكل هذا ليلة البارحة .
فقال ستارك
– كلا ، لم يكن ذلك ضرورياً .
– الواقع اني لم ارى له اية أهمية ، فقد كان أهم منه بالنسبة الي اني قتلت ريتشارد .
فقال دون ان ينظر اليها
– نعم ، نعم .. انا ايضاً لم افكر الا في ذلك .
ثم اردف بعد صمت قصير

– هل لديك مانع من القيام بتجربة بسيطة .. اين كنت تقفين عندما أطلقت الرصاص على ريتشارد .

فقالت في حيرة

– أين كنت اقف !

– نعم ..

– هناك ..

وأشارت نحو باب الشرفة .

فقال :

– اذهبي وقفي حيث كنت تقفين أمس عندما أطلقت الرصاص على ريتشارد ؟

فقالت وهي تنهض ببطء :

– أنا لا اذكر أين كنت اقف ، لا تطالبني بأن أتذكر .. كنت .. كنت في أشد حالات الاضطراب .

فقال ستارك :

– لقد قال لك زوجك شيئاً أثارك .. فاختطفت منه المسدس !

ونهض واقفاً ..

ووضع سيجارته في المنفضة ، وقال :

– دعينا نعيد تمثيل الحادثة .. ها هي المائدة .. وها هو المسدس ..

قال ذلك وتناول السيجارة من يدها ووضعها أيضاً في المنفضة ، ثم أخرج مسدسه ووضعه على المائدة وقال :

– كنتما تتشاجران ، فتناولت المسدس .. هيا تناولي المسدس .

فمدت يدها ..

ثم أحجمت وقالت :

– كلا . لا أريد !

فرد ستارك :

– لا تكوني حمقاء ، إنه غير محشو ، هلمي تناوليه ..

فأطاعت لورا ، وتناولت المسدس .

فقال ستارك :

– إنك لم تتنـــاوليه هكذا ببطء ، بل اختطفته بسرعة واطلقت الرصاص ، والآن أريني كيف فعلت ذلك !

فتراجعت لورا بضع خطوات إلى الوراء ، وهي ممسكة بالمسدس بطريقة تدل على انها لم تمس مسدساً قبل تلك اللحظة .

وصاح ستارك يستحثها :

– هلمي .. أريني كيف فعلت .

فحاولت أن تصوب المسدس .

وصاح بها ستارك :

– أطلقي المسدس ، انه غير محشو .

ولكنها وقفت مترددة ، ولم تطلق المسدس ..

فتناول ستارك المسدس من يدها ..

وقال وفي عينيه نظرة إنتصار :

– هذا ما ظننته ، إنك لم تطلقي مسدساً طول حياتك ، بل ولا تعرفين كيف يطلق المسدس .

ونظر إلى المسدس واستطرد :

– وأيضاً لا تعرفين كيف يرفع الزناد .

ووضع المسدس على المائدة ..

وجلس على الأريكة وقال في هدوء :

– انك لم تطلقي الرصاص على زوجك .

– بل أطلقته !

فرد ستارك :

– كلا .. كلا ، انت لم تطلقيه .

فارتسمت على وجهها دلائل الخوف قائلة :

– لماذا اعترفت إذن بقتله إذا لم اكن قد قتلته ؟

فتحول اليها بغتة وقال :

– لأن جوليان فارار هو الذي قتله .

– كلا ..

– نعم ..

– كلا ..

– اؤكد أنه القاتل .

– إذا كان جوليان هو القاتل حقاً ، فلماذا اعترف أنا بالجريمة ؟

فأجاب ستارك وهو يصمدها بعينيه في هدوء :

– لأنك ظننت ، وبحق ، انني سأتستر عليك وأحميك . نعم .. إنك خدعتني بمهارة ، ولكن كل شيء قد انتهى الآن .. هل سمعت ؟ كل شيء قد انتهى . ولن استمر بعد الآن في هذه الأكاذيب لانقـــاذ الميجور جوليان فارار من حبل المشنقة .

فنظرت اليه لورا وابتسمت ..

ثم سارت في هدوء إلى حيث كانت المنفضة على المائدة ، فتنـاولت سيجارتها وتحولت اليه وردت ببطء :

– بل ستستمر .. يجب أن تستمر ، فليس في استطاعتك أن تتراجع الآن ، إنك ادليت بأقوالك الى مفتش البوليس ولا يمكنك الآن أن تعدل عنها أو تغيرها

فبهت ستارك وهتف

– ماذا قلت ؟

فجلست على مسند الأريكة ..

وقالت في هدوء

– مهما تكن معلوماتك عن الجريمة ، أو ظنونك واوهامك بشأنها ، فأنت ملتزم بالقصة التي رويتها للمفتش ، لأنك اصبحت شريكاً في الجريمة ، أنت نفسك قلت ذلك .

وأرسلت من فمها سحابة من الدخان .

فانبعث ستارك واقفاً ، ونظر اليها وقد الجمته جرأتها .. ثم تمتم وهو ينظر اليها شذراً

– أيتها الـ ..

- ٩ -

كانت الشمس قد اوشكت على المغيب ، حين خرج جوليان إلى الشرفة ونظر الى الحديقة بعينين شاردتين !

كانت تبدو على وجهه دلائل الانزعاج والقلق الشديد .

ولم يلبث ان نظر إلى ساعته وعاد ادراجه الى قاعة الاستقبال .

وانه يـذرع أرض القاعة جيئة وذهاباً ، اذ وقع بصره على صحيفـة فوق المكتب .

كانت إحدى الصحف المحلية ، وقد نشرت في صدرها بحروف كبيرة نبأ مصرع ريتشارد واريك .

فتناولها وجلس على مقعد وراح يقرأ ما ورد فيها عن الحادث ..

وقبل أن يفرغ من القراءة

فتح باب الغرفة ..

فانبعث واقفاً وهتف في لهفة ..

— لورا !

وارتسمت خيبة الأمل على وجهه حين وقع بصره على الجل .

تهالك على المقعد مرة اخرى ..

ليستأنف القراءة ..

قال الخادم

– ستحضر مسز لورا بعد لحظة يا سيدي

فلم يجب جوليان ..

واستغرق في القراءة ..

فقال الخادم بعد قليل

– معذرة يا سيدي ، هل استطيع ان اتحدث اليك لحظة ؟

فاستدار اليه جوليان ..

ثم سأله :

– نعم يا انجل . ماذا تريد ؟

فاقترب انجل بضع خطوات وقال :

– إني قلق على مركزي هنا يا سيدي ، وقد خطر لي أن استشيرك .

فقال جوليان بغير اهتمام ، لأنه كان في شغل بمتاعبه الخاصة :

– ماذا يقلقك يا انجل ؟

فقال انجل :

– يقلقني اني أصبحت بلا عمل بعد موت مستر واريك .

– هذا أمر طبيعي ، ولكني أعتقد انك ستجد عملا آخر بسهولة ، أليس كذلك ؟

فرد انجـل :

– ارجو ذلك يا سيدي .

– انك فيما أعلم شخص مؤهل ومدرب .

– نعم يا سيدي ، وتوجد أعمال كثيرة في المستشفيات وبيوت العظماء لمن كان مثلي .

– ماذا يزعجك إذن ؟

فقال انجل :

إن الظروف التي انتهى بها عملي بها هنا لا تدعو إلى الارتياح .

فسأله جوليان :

– معنى ذلك انك تشعر بالاستياء ، لأن عملك هنا قد انتهى بسبب جريمة قتل .

فتمتم النجل قائلاً :

– ذلك ما أعنيه يا سيدي !

– هذا أمر لا يستطيع أحد أن يصنع شيئاً حياله ، ولكن مما لا شك فيه ان مسز لورا سوف تعطيك شهادة مرضية ..

قال ذلك وأخرج علبة سجائره ، وتناول منها سيجارة ..
ثم أعاد العلبة إلى جيبه .

فقال النجل :

– لن تكون هناك صعوبة من هذه الناحية يا سيدي ، فمسز لورا سيدة لطيفة ، وظريفة ..

وكان في لهجة الخادم شيء أثار ريبة جوليان وقلقه ، فاستدار اليه وقال بحزم :

– ماذا تعني ؟

– اني لا اريد أن اكون مصدر ازعاج من أى نوع لمسز لورا .

– تعني انك تنوي البقاء بعض الوقت للعمل في البيت ارضاء لها ؟

فقال النجل :

– اني أتعاون فعلاً في أعمال البيت ، ولكن ليس ذلك ما أعنيه ، إن ضميري يعذبني يا سيدي .

فصاح جوليان بحدة :

– ضميرك ؟ ماذا تعني بحق الشيطان ؟

فقال النجل :

- لا أظن انك تدرك حقيقة موقفي يا سيدي . اقصد موقفي من البوليس ، إن واجبي كمواطن يفرض علي أن أعـاون البوليس بكل طريقة ممكنة ، ولكني في الوقت نفسه ، اريد أن اظل مخلصاً للأسرة التي أخدمها .

فقال جوليان وهو يشعل سيجارته :

- إنك تتكلم كما لو كان هناك تضارب بين واجبك كمواطن ، وولائك للأسرة .

فقال المجل :

- إذا فكرت في الأمر ملياً ، يا سيدي .. فإنك ستفطن إلى هذا التضارب .

- إلى ماذا تهدف بالضبط يا المجل ؟

فقال المجل بتؤدة :

- إن رجـال البوليس ، يا سيدي ، ليسوا في مركز يتيح لهم رؤية الخلفيات .. والخلفيات قد تكون لهـا أهمية قصوى في قضية كهذه .. يضاف إلى ذلك ، انني كنت أعـاني من أرق شديد في الفترة الأخيرة

فقال جوليان في دهشة

- وما الصلة بين أرقك وهذه القضية ؟

فرد المجل

- من سوء الحظ يا سيدي اني أويت إلى فراشي مبكراً ليلة البارحة ولكني لم أستطع النوم

فسأله جوليان

- هذا أمر يؤسف له .. ولكن !

- ونظراً لموقع غرفتي ، فقد استطعت أن أعرف أشياء ربما غابت

عن فطنة رجال البوليس .

- ماذا تريد أن تقول ؟

- المفهوم يا سيدي أن مستر واربك كان مريضاً وكسيحاً .. فمن الطبيعي ، والحالة هذه ، أن تكون لزوجته الشابة الفاتنة علاقات أخرى ..

فقال جوليان بخشونة

- أهذا ما تعنيه ؟ إن لهجتك لا تعجبني يا الخجل .

- أرجو ألا تتسرع في الحكم علي يا سيدي .. وإذا فكرت في الأمر ملياً ، فستجد اني في مركز بالغ الدقة والصعوبة ، فأنا أعرف أشياء لم أبح بها بعد لرجال البوليس ، بينما الواجب يحتم علي أن أبوح بها ..

فاعتدل جوليان في جلسته وقال

- أعتقد أن ما ذكرته عن معلوماتك وواجبك والبوليس هو مجرد هذيان والحقيقة انك تريد أن توحي الي بأنك في مركز يتيح لك أن تثير الغبار ما لم ..

وصمت قليلاً ..

ثم قال

- ما لم ، ماذا ؟

- اني ، كما سبق أن ذكرت ، ممرض مؤهل ، ومن السهل أن أجد عملاً في مستشفى أو في بيت أحد العظماء .. ولكني أتوق أحياناً لأن يكون لي عمل خاص بي ، كمصحة صغيرة تتسع لخمسة أو ستة من المرضى .. أو المدمنين الذين يثيرون المتاعب لذويهم .

وقد استطعت ان أدخر بعض المال ، ولكنه لسوء الحظ لا يكفي ، لذلك خطر لي ..

- خطر لك اني ، أو مسز لورا ، أو كلينا معاً ، قد نتقدم لمساعدتك مالياً لتنفيذ المشروع ؟

فقال انجل

- ذلك مجرد خاطر خطر لي يا سيدي .. فـإذا تحقق كان ذلك كرماً عظيماً ..

فقال جوليان ساخراً

- نعم .. سيكون كرماً عظيماً حقاً ..

فتمتم انجل قائلاً

- انك ألمحت في شيء من الخشونـة يا سيدي ، الى اني أهـدد باثارة الغبار ، أو بمعنى آخر ، أهدد باثارة فضيحة ، وذلك غير صحيح ، لأني لا افكر في أمر كهذا اطلاقاً .

فنهض جوليان واقفاً وقال

- انك تهدف الى شيء معين يا انجل ؟ ما هو ؟

فرد انجل بهدوء

- قلت لك يا سيدي ، انني لم أستطع النوم ليلة البارحة ، وقد ظللت مفتوح العينين ، وصوت نفير الانذار بالضباب يدوي في أذني ..

ثم خيّل الي اني سمعت صوت نافذة تفتح وتغلق بفعـل الريح ، وتكرر هذا الصوت مراراً ، وهو صوت مزعج لشخص مؤرق يحاول أن ينام ، فنهضت من فراشي ونظرت من النافذة ، ولقيت ان ذلك الصوت المزعج ينبعث من نافذة حظيرة الدجاج ، التي تقع تحت غرفتي مباشرة .

فسألة جوليان

- وبعد ذلك ؟

فقال انجل ببرود

– بعد ذلك قررت ان اذهب الى الحظيرة واغلق النافذة لأتخلص من ذلك الدوي المزعج .

وبينما كنت اهبط السلم : سمعت صوت طلق ناري ، فقلت لنفسي ، هوذا مستر واريك قد عاد الى صيد القطط ، ولكني لا اظنه يستطيع أن يتبين هدفه في هذا الضباب .

وتسللت الى الحظيرة ، وأغلقت النافذة من الداخل ، وقبـل ان أهم بمغادرتها سمعت وقع أقدام في هذه الشرفة ..

ثم تحركت الأقدام من الشرفة الى الطريق الذي يمتد منها في محاذاة الجدار ، حتى يدور حول الركن الأيمن للبيت ..

وهو طريق شبه مهجور ، لا يستعمله أحد سواك يا سيدي كلما اتيت الى هذا البيت أو غادرته ، لأنه في الواقع اقصر طريق بـين بيتك وهذا البيت ؟

فقال جوليان ببرود

– امض في حديثك !

فقال المحل بتؤدة

– الحق ، يا سيدي ، اني شعرت بالخوف والقلق عندما سمعت وقع الأقدام ، اذ خشيت ان يكون لص قـد تسلل الى البيت ، ولكن شد ما كان سروري وارتياحي عندما رأيتك تمر امام نافذة الحظيرة ، وانت تسرع الخطى وتهرول عائداً الى بيتك .

فصمت جوليان لحظة ..

ثم هز رأسه وقال

– لم افهم بعد غرضك من رواية هذه القصة ، هل هناك مسألة معينة تحاول ان تبرزها ؟

فسعل المجل كمن يشعر بالحرج ..

ثم قال :

– اني أتساءل يا سيدي ، ترى هل ذكرت للبوليس انك اتيت ليلة أمس لمقابلة مستر واريك ؟ وعلى فرض انك لم تذكره ، وان رجال البوليس ، أقبلوا ليلقوا علي مزيداً من الأسئلة عن احداث الليلة الماضية ..

فقاطعه جوليان قائلاً :

– هل تعرف أن الابتزاز جريمة ؟ وأن جريمة الابتزاز عقوبتها في منتهى الصرامة ؟

ففر اللون من الجبل .

ولكنه تمالك نفسه بسرعة فقال :

– الابتزاز ؟ ماذا تعني يا سيدي ؟ إن المسألة – كما سبق أن قلت – هي مسألة التمزق الذي أشعر به ، أمام واجبين متعارضين .. والبوليس ؟

فقاطعه جوليان مرة أخرى ، وقال وهو يطفيء سيجارته :

– إن قاتل مستر واريك قد فضح نفسه ، ورجال البوليس يعرفونه الآن جيداً ، ولا أعتقد انهم سيعودون لاستجوابك مرة أخرى .

فقال الجبل في ذعر :

– أؤكد لك يا سيدي اني لم أقصد إلا ..

فقاطعه للمرة الثالثة قائلاً :

– أنت تعلم تماماً انه لم يكن في مقدورك ، أن تتعرف على أي شخص وسط الضباب الكثيف ليلة البارحة . ولكنك اخترعت هذه القصة لكي .

وقبل أن يتم عبارته ..

فتح الباب ، ودخلت لورا ..

وبدت عليها الدهشة حين رأت الجل ، ولكنها تحولت إلى جوليان وقالت :

– يؤسفني انني تركتك تنتظر يا جوليان .

فقال الجل استعداداً للانصراف :

– ربما تحدثت اليك في هذا الموضوع البسيط مرة أخرى ، فيما بعد يا سيدي .

قال ذلك وانحنى قامته للورا وانصرف ..

وأغلق الباب وراءه .

- ١٠ -

وانتظرت لورا لحظة ..

ثم أسرعت إلى جوليان وهي تهتف :

– جوليان !!

فقال في شيء من الاستياء :

– لماذا أرسلت في طلبي يا لورا ؟

فأجابت في دهشة :

– لقد انتظرتك طول النهار ؟

– كانت مشاغلي كثيرة منذ الصباح ، اجتماعات ، ولجان ، ومقابلات ، وسوف يستمر ذلك حتى تنتهي الانتخابات ، وعلى كل حال ، أفلا ترين من الأفضل يا لورا ان نكف عن هذه اللقاءات ؟

– ولكن هناك أموراً يجب أن نناقشها ..

فقال وهو ينظر إلى الباب :

– هل تعلمين ان انجل يحاول ان يمارس معي عملية ابتزاز ؟

فأجابت مستغربة :

– انجل ؟

– نعم ، ومن الواضح انه يعرف الكثير عن علاقتنا ، كما يعرف اني

كنت هنا ليلة البارحة .

– هل تعني أنه رآك ؟

فأجاب وهو ينظر عبر باب الحديقة :

– إنه يقول انه رآني .

– لم يكن في استطاعته أن يراك في الضباب .

– لقد روى لي قصة عن نافذة في حظيرة الدجاج كانت مفتوحة ، فذهب لاغلاقها ، ورآني أمر أمـام الحظيرة في الطريق إلى بيتي .. كذلك قال أنه سمع ، قبل ذلك صوت طلق ناري ، غـير انه لم يعر الأمر اهتماماً ..

– يا إلهي ! وما العمل ؟

– لا أعلم ، يجب أن نفكر في الأمر .

– ستعطيه نقوداً ؟

فتمتم قائلا :

– كلا .. كلا . إذا فعلت ذلك كانت بداية النهاية ، ومع ذلك .. ماذا بوسعنا أن نفعل ؟

ومسح جبينه بيده وقال :

– ليس هناك من يعلم انني اتيت إلى هنا ليلة البارحة ، ان خادمتي نفسها لا تعلم .. والمسألة الآن هي ، هل رآني الجل حقـاً ، أم انه يزعم ذلك ؟

– هب انه ذهب إلى البوليس ، فماذا يكون ؟

فأجاب وهو يمسح جبينه بيده مرة أخرى ..

– لا أعلم ، يجب ان افكر ، فليس أمامي إلا ان أقول انه كاذب ، أو أزعم اني لم اغادر منزلي ليلة البارحة ؟

– والبصمات ؟

فسألها مستفهماً :

– أية بصمات ؟

– هل نسيت ؟ البصمات التي وجدت على المائدة وزجاج النافذة ، إن مفتش البوليس يعتقد انها بصمات مساكجريجور ، ولكن إذا ذهب اليه الجل وروى له تلك القصة ، فإن المفتش لا بد ان يطلب بصماتك ، وعندئذ ..

فبدت على وجه جوليان دلائل الهم والانزعاج ..

ثم قال :

– نعم . نعم ، حسناً إذن ، سأعترف لمفتش البوليس اني اتيت إلى هنا ليلة البارحة ، وانتحل عذراً لذلك ، كأن ازعم اني اتيت لمقابلة ريتشارد لأمر ما ، واننا تحدثنا معاً !

فقالت بسرعة :

– تستطيع أن تقول انه كان في خير حال عندما تركته .

فنظر اليها بمرارة ..

وقال بحدة

– ما أبرعك في تبسيط الأمور ! أتعتقدين اني استطيع أن اقول ذلك ؟

– يجب ان يقول الانسان شيئاً ..

فاقترب من المائدة وقال

– نعم .. إنني وضعت يدي على هذه المائدة عندما انحنيت لأنظر إلى ..

وتذكر المنظر الذي رآه !

وارتسمت في عينيه نظرة ذعر ..

فقالت لورا

– طالما انهم يعتقدون انها بصمات ماكجريجور ..

فصاح في غضب

– ماكريجور ! ماكجريجور ! ماذا جعلك تفكرين في تلك الورقة وتضعينها في جيب ريتشارد ، بحق السماء ! ألم يكن عملك هـــذا مجازفة خطيرة ؟

فردت في ارتباك

– نعم .. لا .. لا أعلم !

فقال وهو ينظر اليها بنفور

– ما أشد جرأتك في الاجرام ؟

– كان يجب أن نبحث عن وسيلة ، وكنت عاجزة عن التفكير ، إن هذه هي فكرة مايكل .

– مايكل ؟

– مايكل ستارك ..

فسألها مندهشاً

– تعنين انه الذي عاونك ؟

فصاحت في ضجر

– نعم ، نعم ، نعم .. لذلك اردت مقابلتك لأوضح لك ..

فقال والغيرة تأكل قلبه

– ما علاقة مايكل ستارك بهذا ؟

– انه جاء ورائي والمسدس في يدي .. و ..

فصاح في اشمئزاز

– وبطريقة ما .. استطعت أن تقنعيه بأن ..

– هو الذي اقنعني .. اصغ الي يا عزيزي ..

وحاولت ان تحيط عنقه بساعديها ، ولكنه دفعهـــا عنه في رفق

وجلس أمام المكتب .
وقال دون أن ينظر اليها :

– قلت لك اني سأبذل قصارى جهدي .. ولكن لا تظني أن ..

فقاطعته قائلة في هدوء :

– إنك تغيرت يا جوليان !

فرد عليها بهدوء :

– اني لا أستطيع أن أشعر بنفس الأحاسيس بعد هذا الذي حدث ، لا أستطيع .

– اما أنا فأستطيع ، فلن تتغير مشاعري نحوك مهما فعلت .

فرد عليها جوليان :

– دعينا من العواطف الآن ، ولننظر إلى الحقائق .

– على رسلك .. هـل تعلم اني قلت لستارك اني التي ارتكبت الجريمـة ؟

فنظر اليها كمن لا يصدق أذنيه وصاح :

– أنت قلت له ذلك ؟

– نعم ..

– ووافق على مساعدتك ، رغم انه لا يعرفك ولا تعرفينه ؟ لا بد انه مجنون .

فعضت على شفتها قائلة :

– ربما كان مجنونـاً .. ولكنه انسان ، وقد أدخل الطمأنينة على نفسي ؟

فقال جوليان في غضب :

– هل معنى ذلك ، انه لا يوجد رجل يستطيع مقاومة فتنتك وإغرائك ؟

ثم تنهد وقال :

– مهما يكن فإن القتل جريمة بشعة !

– سأحاول ألا أفكر فيها ، المهم إنها لم تكن متعمدة .

فقال بحدة :

– لا ضرورة للخوض في الموضوع ، خير من ذلك أن نفكر فيما ينبغي علينا عمله .

– نعم ، يجب أن نفكر في موضوع البصمات والولاعة .

– لا بد أن الولاعة سقطت مني عندما انحنيت لأنظر إلى الجثة .

فأجابت لورا بهدوء :

– إن سنارك يعلم إنها ولاعتك ، ولكنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً ، إنه تورط ولا يمكنه تغيير اقواله .

فقال جوليان في نوبة من الشهامة :

– على كل حال يا عزيزتي ، أنا على استعداد لتحمل المسئولية كلها عند الضرورة .

– كلا .. لا أريدك أن تفعل ذلك ..

– اني أدرك كيف وقع الحادث ، وأكاد أراك بعين الخيال وانت تتناولين المسدس وتطلقينه دون أن تعي ما تفعلين .

فدهشت وقالت

– هل تريد ان تحملني على القول بأني أنا التي قتلته ؟ ألم تقل إنك تعرف كيف وقع الحادث ؟

فأجاب جوليان

– اصغي الي يا عزيزتي ، انا واثق انك لم تتعمدي قتله ، وانك حين أطلقت عليه الرصاص ..

– أنا أطلقت عليه الرصاص ؟ أتحاول اقناع نفسك بأني التي أطلقت

عليه الرصاص ؟

فصاح في غضب وهو يوليها ظهره :

– بحق السماء يا عزيزتي .. دعينـــا على الأقل نكن أمناء مع أنفسنا ..

فقالت في ثبات واصرار

– أنت تعلم اني لم أقتله .

– من قتله إذن ؟

ثم فطن فجأة إلى ما تنطوي عليه عبارتها الأخيرة من معان ، وتبلجت له الحقيقة ..

صاح :

– لورا .. هل تريدين أن تقولي اني قتلته ؟

فردت بهدوء :

– كل ما أعلمه ، اني سمعت صوت الطلق الناري ، ثم سمعت وقع أقدامك في الشرفة ، وعلى الطريق الموصل إلى بيتك ، فهرعت إلى هنا ووجدته جثة هامدة .

فرد جوليان

– وأنا لم أطلق عليه الرصاص ، اني جئت لكي أقول له إننـــا يجب أن نتفق على اجراءات الطلاق عقب انتهاء الانتخابات ، وسمعت صوت الطلق الناري قبل وصولي ، فظننت أنه عاد إلى العبث بمسدسه ، وعندما دخلت ، وجدته ميتاً ، وجثته لا تزال دافئة .

فبدت الحيرة على وجه لورا !

ومضى جوليان في حديثه قال

– واكبر الظن انه لم يكن قد مضى على موته اكثر من دقيقـــة أو دقيقتين ، فاعتقدتُ بطبيعة الحال انك انت التي أطلقت عليه الرصاص ،

إذ من سواك كان يستطيع أن يفعل ذلك ؟

– لا أعلم . انه لأمر محير .

– من يدري ، فلعله انتحر !

– كلا .. لأن ..

وأمسكت عن الكلام ، فقد سمعت وقع اقدام تقترب ، ثم فتح الباب على الفور .

ودخل جان مسرعاً وهو يصيح

– لورا .. لورا .. الآن بعد ان مات ريتشارد .. الا تؤول أسلحته إلي بصفتي أخوه ، والرجل الوحيد في الأسرة ؟

إن مس بنيت تنكر علي ذلك ، ولا تسمح لي بالاستيلاء عليها ، فقد وضعت الأسلحة في الدولاب .. وأغلقته .. قولي لها ان تعطيني المفتـــاح ؟

– اصغ الي أيها العزيز ..

ولكنه أبى ان يقاطعه أحد ..

ومضى يقول ..

– إنهـا تعاملني كما لو كنت طفلا .. غير اني أصبحت رجلا .. ومن حقي أن استولي على أسلحة ريتشارد ، وان اطلق النار على الطيور والقطط ، كما كان يفعل .. بل واطلق النار كذلك على النـاس الذين لا احبهم ..

– هدىء روعك يا جان ، ولا تنفعل .

فقال بعصبية

– اني غير منفعل ، ولكني لا اريد ان يضايقني احد ، أنا الآن رب البيت ، ويجب على الجميع ان يطيعوني !

– اصغ الي يا عزيزي جان .. إننا جميعـــا نمر بوقت عصيب ،

وحاجيات ريتشارد لن تؤول إلى أحد قبل أن يحضر المحامون ويفضوا الوصية .. ذلك هو الاجراء الذي يتبع عادة عندما يموت أحد الناس ، هل فهمت ؟

قالت ذلك بصوت يفيض لطفاً وحناناً ، فهدأت ثائرته وأحاط خصرها بساعده ، وقال :

– اني افهم كل ما تقولينه لي . لأني أحبك .

– وأنا ايضاً أحبك يا جان !

– انك سعيدة ، لأن ريتشارد مات ، أليس كذلك ؟

فبهتت وأجابت :

– كلا يا جان ، اني غير سعيدة .

فقال بخبث :

– بل أنت سعيدة ، لأنك تستطيعين الآن أن تقترني بجوليان , إنك كنت تريدين الاقتران به منذ وقت طويل ، أليس هكذا ؟ ان الجميع يعتقدون اني لا ألاحظ شيئاً ، ولكني ألاحظ كل شيء .

وهنا ارتفع صوت مس بنيت في الخارج ..

وهي تصيح :

– جان . أين أنت ؟

فقال الشاب :

– ها هي مس بنيت الحمقاء

فقالت لورا :

– كن لطيفاً معها يا جان . إن أعباءها ثقيلة ، ومسئولياتها كثيرة ، فحاول أن تساعدها ، ألست أنت رب الأسرة الآن ؟

ففرح الشاب وقال :

– حسناً .. سأكون لطيفاً معها !

وانطلق إلى خارج الغرفة .

فقالت لورا :

ـ لم اكن أعلم أنه يعرف كل شيء عنا ..

فقال جوليان :

ـ هذه هي المشكلة مع من كانوا مثله ، إنهم لغز لا يعرف الانسان كنهه ، هل هو سهل القياد ؟

ـ ليس في جميع الظروف ، إنه سريع الانفعال ، غير اني أتوقع بعد موت ريتشارد ، الذي كان يهدده ويضايقه ، أن يهدأ ويتحسن حاله ويتماثل للشفاء ، وربما يصبح طبيعياً مثل غيره من الشباب !

- ١١ -

لم تسمع لورا وقع اقدام في الشرفة ..

ولذا بهتت حين رأت ستارك يطل من باب الحديقة ، وتراجعت خطوة مبتعدة عن جوليان .

قال ستارك بصوته الهادىء المألوف :

- طاب مساؤكما ..

وبوغت جوليان الذي لم يكن قد شعر به ..

فاستدار ورآه واجاب :

- آه . طاب مساؤك يا مستر ستارك .

- كيف تسير الأمور ؟ هل كل شيء جميل ومبهج ؟

ثم ابتسم ابتسامة ذات مغزى وتابع كلامه :

- أظن اني اتيت في وقت غير مناسب ، وما كان ينبغي أن أدخل من هذا الباب ، الشخص المهذب يذهب عادة إلى البـاب الرئيسي ويدق الجرس ، ولكني لست شخصاً مهذباً ..

فخفت اليه لورا وهي تقول :

- كل أبوابنا مفتوحة لك يا مستر ستارك .

فقال وهو يخطو إلى الداخل :

- الواقع إني اتيت لسببين .. الأول لكي أودعكم ، فقد وردت برقية من السلطات العليـــا في (عبدان) تزيل كل شك في امري ، وتقول اني رجل مستقيم ، وعلى خلق عظيم ، وعلى ذلك فليس ثمة مـا يمنعني من الرحيل ..

فقالت لورا بشعور صادق :

- يؤسفني ان ترحل عنا بهذه السرعة يا مستر ستارك .

فقال بشيء من المرارة :

- إنه لكرم منك ان يكون هـذا شعورك بعد أن اقحمت نفسي اقحاماً في جريمتكم العائلية .

ونظر اليها طويلاً ..

ثم استطرد :

- ولكني جئت من باب الحديقة لسبب آخر ، ذلك اني حضرت مع رجـال الشرطة في سيارتهم ، ولاحظت من حرصهم على الصمت والكتمان أن في الأمر شيئاً .

فقالت في هلع :

- هل جاءوا مرة أخرى

فقال ستارك

- نعم ..

- ولكني ظننتهم قد انهوا مهمتهم صباح اليوم .

- هذا ما جعلني اعتقد ان وراء الأكمة ما وراءها .

فتحولت لورا إلى جوليان !

والتقت عيونهما ..

وفتح الباب في هذه اللحظة ودخلت مسز واريك .

كانت منتصبة القامة ، مرتفعة الرأس ..

متمالكة نفسها تماماً ، قائلة

– أمذه أنت يا عزيزتي ؟ كنا نبحث عنك .

فخف اليها جوليان ليرافقها إلى احد المقاعد ، فقالت

ما أكرمك يا جوليان ! اتيت مرة أخرى رغم مسئولياتك ومشاغلك الكثيرة ..

فأجاب وهو يساعدها على الجلوس

– كنت أريد القدوم قبل الآن .. غير انه كان يومـــاً عصيباً بالنسبة إلي ..

ولم يكد يتم عبارته حتى دخلت مس بنيت وتبعها المفتش حاملاً حقيبة أوراقه .

ونظر ستارك إلى المفتش كما لو كان يريد ان يقرأ خواطره وافكاره ، ثم تنهد واشعل سيجارة وجلس أمام المكتب .

ولم تمض لحظة اخرى ..

حتى دخل رقيب الشرطة ومعه الجل .

واغلق الجل الباب ..

بينما قال الرقيب محدثاً المفتش

– لم استطع العثور على الشاب جان واريك !

فردت مس بنيت

– لا بد أنه خرج للنزهة .

فقال المفتش

– لا بأس ، فلسنا في حاجة اليه الآن ..

* * *

وساد القاعة بعد ذلك صمت عميق ، وراح ، وراح المفتش ينقل بصره بينهم واحداً بعد الآخر ..

كانت على وجهه مسحة من الجد والصرامة ، لم يكن لها وجود في الليلة السابقة ، او في صباح ذلك اليوم .

وكان التغيير الذي طرأ عليه واضحاً للجميع .

واخيراً ..

التفتت اليه مسز واريك وقالت ببرود

-- هل أفهم من دعوتك لنا أيها المفتش ان لديك أسئلة أخرى تريد ان تلقيها علينا ؟

- نعم يا مسز واريك .

- الم تصلكم بعد انباء عن ذلك الرجل المدعو ماكجريجور ؟

- جاءتنا أنباء عنه يا سيدتي !

فقالت باهتمام

- هل وجدتموه ؟

فقال المفتش

- نعم ..

وكان رد فعل هذه الاجابة سريعاً وواضحاً ..

فتبادلت لورا وجوليان نظرة خاطفة ، وبدا عليهما كأنهما لا يصدقان ما سمعا !

اما ستارك فإنه تحرك في مقعده بقلق ..

غير انه لزم الصمت .

وأما مس بنيت فإنها سألت باهتمام

- هل قبضتم عليه ؟

فنظر اليها المفتش طويلا قبل ان يجيب

– هذا مستحيل يا مس بنيت ؟

– مستحيل ؟ لماذا ؟

فقال المفتش :

– لأنه مات .

فهتفت لورا :

– ماذا ؟

وامتقع لونها .. بينما تهالك جوليان على اقرب مقعد .

قال المفتش :

– لقد مات جون ماكجريجور في (الاسكا) منذ اكثر من عامين .

فغمغمت لورا بصوت المحتضر :

– مات !

فقال المفتش ببطء وهو يضغط على كل كلمة :

– هذا يغير الوضع تماماً ، لأنه يدل على ان مـاكجريجور ليس هو الذي وضع الرسالة بجيب مستر واريك ، وإن واضع الرسالة شخص يعرف كل صغيرة وكبيرة عن قصة ماكجريجور ، وحادث نورفولك .

قال هذا ووضع حقيبة اوراقه على احد المقاعد .

واستطرد في حديثه قائلا

– وهذا الشخص بالتحديد ، لا بد ان يكون احد افراد الأسرة .

فصاحت مس بنيت

– كلا .. هذا الشخص يمكن ان يكون ..

وصمتت !

فقال المفتش يستحثها

– نعم يا مس بنيت ؟

ولكنها لزمت الصمت ..

فالتفت المفتش توماس إلى مسز واريك فقال .
- ها أنت ترين يا سيدتي أن الموقف تغير كلياً .

فأجابت وهي تنهض :
- نعم .. أرى هذا ، هل أنت بحاجة الي أيها المفتش ؟
- في الوقت الحاضر لا .
- شكراً لك ..

وأسرع جوليان لمساعدتها على السير ..
بينما فتح لها انجل باب الغرفة .

وفتح المفتش حقيبة أوراقه ، وأخرج منها المسدس .
ثم حانت منه التفاتة ..
فرأى انجل يهم بالخروج في أثر سيدته ..
فصاح به :
- تعال يا انجل !
فبهت الخادم ودار على عقبيه وقال :

- نعم يا سيدي ..
فقال له المفتش :
- أريد أن أحدثك عن هذا المسدس .. إنك لم تبد بشأنه رأياً قاطعاً صباح اليوم ، فهل تستطيع أن تؤكد بصفة قـــاطعة هل هو مسدس سيدك أم لا ؟
فقال انجل :
- لا أستطيع أن اؤكد شيئاً يا سيدي ، فقد كان لديه عدد كبير من المسدسات .
فقال المفتش توماس :
- إنه مسدس اوروبي الصنع ، ولعله تذكار من أيام الحرب .

- كانت لديه أسلحة كثيرة مستوردة ، وكان يعنى بها بنفسه ، ولا يسمح لي بأن أمسها !

فتحول توماس إلى جوليان وسأله :

- ميجور فارار ، إنك ضابطاً بالجيش ، ولا بد أن لديك مجموعة من الأسلحة التذكارية ، فهل يدلك هذا المسدس على شيء ؟

فنظر جوليان إلى المسدس وهز رأسه سلباً ، وقال :

- كلا ..

فقال توماس وهو يضع المسدس في حقيبته :

- اريد ان اذهب مع الرقيب لالقاء نظرة على أسلحة مستر واريك ، أظن انه كانت لديه تراخيص بها ؟

فقال الخجل :

- نعم يا سيدي .. والتراخيص موجودة في درج مائدة بغرفة نومه ..

وعندما هم توماس بالخروج ..

استوقفته مس بنيت قائلة :

- صبراً لحظة ، إنك ستحتاج إلى مفتاح الدولاب .

واخرجت المفتاح من جيبها ..

فرمقها توماس بنظرة ارتياب وقال :

- لماذا أغلقت الدولاب ؟

فأجابت بلهجة الاستنكار

- ما كان أغناك عن هذا السؤال يا سيدي ، هل توقعت أن اترك الدولاب مفتوحاً وبه كل تلك الأسلحة والذخائر الخطرة ؟

فابتسم الرقيب خلسة .

وقال توماس يحدث الخادم

– تعال معنا يا انجل ، فقد نحتاج اليك

فتبعه انجل بضع خطوات ..

ثم قفل عائداً ، واقترب من جوليان .. .

وقال له بصوت خافت :

– بشأن الموضوع البسيط الذي حدثتك عنه يا سيدي ، يهمني جداً ان أعرف جوابك ، وحبذا لو أمكن تسوية الموضوع ..

فقال جوليان على كره منه :

– أظن .. اظن اننا نستطيع التفاهم .

– شكراً لك يا سيدي . شكراً جزيلاً ..

وأسرع انجل للحاق بالمفتش ..)

ولكن جوليان استوقفه بقوله :

– كلا .. انتظر !

ثم صاح يدعو المفتش :

– مستر توماس .. أيها المفتش توماس ..

ولم يكن توماس قد ابتعد .

فقفل عائداً وسأل :

– هل دعوتني يا ميجور ؟

– نعم ، قبل ان تنغمس في أعمالك الروتينية ، اريـد أن أقول لك شيئاً كان يجب أن اشير اليه صباح اليوم ، ولكننا جميعاً كنا في حـالة يرثى لها من الاضطراب والانزعاج ..

لقد قالت مسز لورا في التو واللحظة ، انك وجدت على المائدة بعض بصمات يهمك أن تعرف صاحبها ، هذه البصمات يحتمل جداً ان تكون بصماتي أيها المفتش .

فصعده توماس بعينه .

ثم اقترب منه ببطء ..

وقال بلهجة فيها معنى الاتهام :

– هل كنت هنا ليلة أمس يا ميجور فارار ؟

– نعم ، اني اتيت ، كما تعودت أحياناً أن أفعل بعد العشاء ، لكي أتجاذب أطراف الحديث مع ريتشارد .

فسأله توماس :

– ووجدته ؟

فقال جوليان :

– وجدته مهموماً ضيق الصدر ، ولذا لم امكث طويلاً .

– كم كانت الساعة وقتذاك يا ميجور ؟

– في الحق لا أذكر ، ربما كانت العاشرة ، أو العاشرة والنصف ، حوالي ذلك !

فسأله توماس :

– الا تستطيع تحديد الوقت بشيء من الدقة ؟

– انا آسف ، لا اظنني استطيع .

فقال توماس :

– هل قام بينكما خلاف ، او تبادلتما بعض الألفاظ الخشنة ؟

فأجاب بسرعة :

– اطلاقاً !

ثم نظر إلى ساعته وقال :

– لقد تأخرت ، اني على موعد لالقاء خطاب انتخابي في دار البلدية ، ارجو المعذرة !

واسرع للانصراف من باب الحديقة ..

فقال المفتش وهو يتبعه إلى الباب :

ـ كلا .. لا ينبغي ان تتخلف عن موعدك ، وإنما يجب أن احصل منك على اقرار عن تحركاتك ليلة أمس ، وليكن ذلك غداً صباحاً إذا شئت ، وإنما ارجو ان يكون مفهوماً ان هذا الاقرار اختياري ، وليس الزامياً ، وإن بوسعك ان تصطحب معك محاميك إذا شئت .

وكانت مسز واريك قد اقبلت منذ لحظة وسمعت المفتش يتكلم ، فوقفت بالباب تتنصت ..

ثم دخلت ..

وتركت الباب مفتوحاً ..

أما جوليان ، فإنه فهم ما ينطوي عليه كلام المفتش من مغزى !

تنهد وقال :

ـ حسناً .. فهمت ، فليكن لقاؤنا غداً في الساعة العاشرة صباحاً ، وسيكون محامي معي !

وخرج إلى الشرفة ..

ومنها إلى الحديقة !

وتحول المفتش إلى لورا وسألها :

ـ هل رأيت الميجور فارار ليلة أمس ؟

فأسقط في يدها ..

فلم تدر ماذا تقول !

أجابت متلعثمة :

ـ أنا .. انا .. في الواقع اني !

وفجأة ، وثب ستارك من مقعده ، ومشى بخطى واسعة حتى وقف بين المفتش ولورا ، فقال :

ـ لا اظن ان مسز لورا على استعداد للاجـــابة على اية اسئلة في هذه اللحظة !

فصاح توماس في غضب :

ـ حقاً ؟ وما شأنك انت في هذا يا مستر ستارك ؟

فأجابت مسز واريك :

ـ إن مستر ستارك على حق .

فنظر ستارك إلى المفتش توماس وابتسم .. وعض هذا على شفته وغادر الغرفة ..

وتبعه الرقيب والخجل ..

- ١٢ -

وعندئذ نظرت لورا إلى مسز واريك وقالت :

- كان يجب ان اتكلم ، ماذا سيظن الآن ؟

فردت العجوز :

- إن مستر ستارك على حق يا لورا .. كلما قل كلامك الآن ، كان هذا افضل ..

ثم اطرقت برأسها وتمتمت :

- يجب ان نتصل بمستر آدمز فوراً ؟

ونظرت إلى ستارك واستطردت تقول :

- إن مستر آدمز هو محامي الأسرة ، اتصلي به الآن يا مس بنيت .

فأسرعت مس بنيت إلى التلفون ..

ولكن العجوز استوقفتها فقالت :

- كلا .. اتصلي به من الوصلة التي بالطابق الأول .. اذهبي معها يا لورا !

فنهضت لورا ..

ولكنها وقفت مترددة ..

فقالت العجوز

– اريد ان اتحدث مع مستر ستارك على انفراد ؟

– ولكن ..

– اطمئني يا عزيزتي ، سيكون كل شيء على ما يرام .

وما أن خرجت لورا .. وتبعتها مس بنيت ، وأغلقت هذه الأخيرة الباب حتى استدارت العجوز نحو ستارك ، وراحت تتحدث اليه بسرعة ، وإنما بوضوح تام .

قالت :

– لا أدري هل سيتسع الوقت لحديثنا أم لا .. إني أريدك أن تساعدني يا مستر ستارك ..

– كيف ؟

فترددت العجوز قليلاً ..

ثم قالت :

– إنك شخص ذكي ، وغريب عنا ، جئتنا من حيث لا ندري .. ودخلت حياتنا .. إننا لا نعرف شيئاً عنك ، وانت لا شأن لك بأحد منا ، فأنت غريب عنا بكل ما في هذه الكلمة من معنى .

فقال وعلى شفتيه ابتسامة حزينة :

– أنا الزائر غير المنتظر ، فقد قيل لي ذلك قبل الآن .

فردت العجوز :

– ولأنك غريب عنا .. سأرجوك ان تفعل شيئاً من اجلي .

قالت هذا وسارت ببطء إلى الشرفة ، ونظرت يميناً ويساراً ..

ثم عادت أدراجها ..

فقال ستارك :

– انني في خدمتك يا مسز واريك .

فأجابت العجوز :

– حتى هذا المساء ، كان هناك تفسير معقول للمأساة التي حدثت في هذا البيت ، رجل فقد طفله ، فجاء وانتقم ممن كان سبباً في مصرع الطفل .. حادث ميلودرامي ، ولكنه ليس نادر الوقوع ، ونحن نقرأ أحياناً عن حوادث مماثلة .

– تماماً !

وتابعت العجوز :

– وإنما هذا التفسير أصبح غير ذي موضوع ، وثبت بصفة مؤكدة أن قاتل إبني لا بد أن يكون احد افراد الأسرة ؟

وتنهدت .

واستطردت تقول :

– هناك شخصان أنا على يقين من أنهما لم يطلقـــا الرصاص على ابني . هذان الشخصان هما زوجته ومس بنيت ، فقد كانتا معاً عندما دوى الطلق الناري .

فرمقها ستارك بنظرة سريعة وقال :

– هذا صحيح .

واكملت العجوز :

– ولكن رغم أنه ليس من الممكن أن تكون لورا قد قتلت زوجها ، إلا أنه من الممكن أنها كانت تعرف القاتل !

– اي انها كانت شريكته ؟ أي اتفقت مع جوليان على الجريمة ؟ أهذا ما تعنينه ؟

فردت العجوز !

. أنا لا أعني هذا ، إن جوليان لم يطلق الرصاص على ابني .

فدهش ستارك وقال :

– كيف تأكدت من ذلك ؟

ـ أنا متأكدة ، سأقول لك أنت الغريب ، ما لا يعلمه أحد من أفراد أسرتي ، اني امرأة أيامها معدودة ..

ـ أنا آسف ..

فأسكتته باشارة من يدها وقالت :

ـ لم أقل هذا لأستدر عطفك وشفقتك ، وإنما قلته توضيحاً لموقف يتعذر توضيحه بغير ذلك ، هنـــاك ظروف تحتم على الانسان أن يتخذ قراراً ما كان ليتخذه لو أن أمامه فسحة من العمر .

ـ مثل ؟

فأجابت العجوز :

ـ سأقول لك شيئاً عن ابني يا مستر ستارك ، اني كنت أحبه من كل قلبي .. كان في طفولته ويفاعه يتميز بكثير من الصفات الرائعة ، كان ناجحاً وذكياً وشجاعاً ، ومرحاً .. وإنما هذه الصفات الطيبة ، كان يقابلها بعض العيوب ، كالقسوة والبجاحة والتمرد على القيود ، بيد ان محاسنه كانت أرجح من سيئاته !

إلا انه بفطرته ، ونشأته ، وتكوينه ، لم يكن الانسان الذي يستطيع الصمود للنكبات ..

ولقد راقبته عن كثب في السنوات الأخيرة ، ولاحظت انه ينحدر يوماً بعد يوم نحو القاع

وصمتت قليلاً ..

ثم قالت :

ـ إذا قلت انه أصبح وحشاً .. فقد تظن اني أبالغ .. والواقع انه كان في بعض النواحي وحشاً بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، كان وحشاً في قسوته ، وفي كبريائه ، وفي أنانيته .. ولأنـــه أوذي في صحته وجسده ، فقد تملكته رغبة شيطانية في إيذاء الآخرين ، وهكذا بـدأ

الآخرون يعانون ويتعذبون بسببه ..

هل فهمتني ؟

فأجاب ستارك :

ـ اظن اني فهمت .

ـ والآن . اود أن تعلم اني لا اكن للورا سوى الحب والتقدير ، انها تمتاز بالذكاء والشجاعة ، ودماثة الخلق .

وقدرتها على الاحتمال لا حدود لها ، وانا لست على يقين من أنها احبت ريتشاود حين تزوجته ، او بعد ان تزوجته ، ولكني اؤكد لك انها فعلت أقصى ما تستطيع زوجة أن تفعله لتخفيف آلام زوجها ، ولكي تجعل من مرضه وعجزه شيئاً محتملاً

غير أنه كان يضيق بها ، ويرفض معونتها ، وكان يخيل الي أحياناً أنه يكرهها وذلك رد فعل طبيعي اكثر مما نتصور ..

ولهذا أعتقد انك ستفهم ما اعني حين أقول لك أن ما كان لا بد منه قد حدث .. فقد وقعت لورا في حب رجل آخر ، وبادلها الرجل حباً بحب ..

فسألها ستارك :

ـ ولكن لماذا تقولين لي كل ذلك ؟

فأجابت بحزم :

ـ لأنك غريب عنا .. وحوادث الحب والكراهية في هذا البيت لا تعني شيئاً بالنسبة اليك .. وفي مقدورك أن تسمعها دون أن تتأثر بها .

فتنهد وتمتم بصوت خافت :

ـ ربما ..

ومضت العجوز في حديثها ، قالت :

- وهكذا جاء وقت بدا فيه أن شيئاً واحداً فقط يمكن أن يحل جميع المشكلات ، وهو موت ريتشارد .

فقال ستارك مستفهماً :

- ولهذا مات ريتشارد ؟

فردت العجوز :

- نعم ..

وساد صمت قصير ..

ثم نهض ستارك فأطفأ سيجارته وقال في هدوء :

- معذرة عن صراحتي يا مسز واريك ، ولكن هل هـذا اعتراف منك بارتـكاب الجريمة ؟

فقالت بحدة :

- سألقي عليك سؤالاً . هل تعتقد أن من يمنح الحياة له الحق في ان يقتلها ؟

ففكر في ذلك واجاب :

- لقد سمعنا عن أمهات قتلن أولادهن ، ولكن بدافع الأنانية في أبشع صورها ، كالحصول على مبلغ التأمين ، أو التخفف من اعباء الأمومة هل موت ريتشارد يفيدك مالياً ؟

فردت العجوز

- كلا !

- معذرة عن صراحتي .

- هل فهمت ما أريد ان اقوله ؟

- اظن اني فهمت ، تريدين ان تقولي أن الأم يمكن ان تقتل ابنها ، وانه من الممكن ان تكوني قد قتلت ابنك ، ولكن هل هذا مجرد نظرية ام حقيقة ؟

ـ اني لا اعترف بشيء ، ولكني فقط اطرح امامك وجهة نظر ، وقد تطرأ ظروف حين لا اكون على قيد الحياة لأحسمها ، ولذا اريدك ان تأخذ هذا .

واخرجت من جيبها مظروفاً قدمته اليه ، فقال

ـ كل هذا حسن ، ولكنني لن اكون هنا ، اني سأعود إلى (عبدان) لمباشرة عملي !

ـ إن عبدان ليست في عزلة عن العالم ، ولا بمنأى عن المدنية ، لا بد ان بها صحفاً وإذاعة .

ـ نعم ، نعم .. كل هذا موجود فيها ؟

فتمتمت العجوز

ـ احتفظ إذن بهذا المظروف ، هل قرأت العنوان ؟

فنظر إلى المظروف وقرأ العنوان

« إلى مدير الشرطة » .

ثم قال ..

ـ الحق انك بارعة كل البراعة في كتمان اسرارك ، فأنا لا اعرف بوضوح ماذا في ذهنك ، او ماذا يدور بخلدك ، هناك امران لا ثالث لهما ، اما انك ارتكبت الجريمة بنفسك ، واما انك تعرفين من ارتكبها ، فهل انا على صواب ؟

ـ لا اريد مناقشة هذا الموضوع .

ـ ولكنني اشعر بفضول شديد إلى معرفة ما يدور بخلدك ؟

ـ يؤسفني اني لا استطيع ان اشبع فضولك ، اني كما قلت ، امرأة تعرف كيف تكتم اسرارها جيداً .

فحاول ستارك الوصول إلى هدفه من زاوية اخرى قال

ـ هذا الرجل الذي كان يقوم على خدمة ابنك !

ـ تعني الجل ؟

ـ نعم .. هل تحبينه ؟

ـ كلا .. ولكنه كفء في عمــله .. ولم يكن ريتشارد مريضاً سهل القياد .

ـ ألم يكن الجل يضيق به ؟

ـ ولماذا ؟ فقد كان ريتشارد يكافئه بسخاء .

ـ هل كان ابنك يعرف عن ماضي الجل ما يشينه ؟

ـ تعني شيئاً كان يمكن ان يهدده به ؟

ـ نعم !

ـ لا أظن ؟

ـ كنت اتساءل عما إذا كان الجل ؟

ـ إذا كان هو الذي قتل ابني ؟ اني ارتاب في هذا ، اني ارتاب في هذا كثيراً ..

فتنهد ستارك وقال

ـ ارى انك لم تقعي في الفخ ، وهذا يبعث على الأسف ، ولكن ما باليد حيلة ..

فنهضت العجوز وهي تقول

ـ شكراً على انك افسحت لي صدرك يا سيدي ..

وانبعثت واقفة ..

ومدت اليه يدها !

واستغرب ستارك حين رآها تنهي الحديث فجأة ، غير انه تناول يدها وشد عليها بقوة ..

ومشت إلى الباب !

فتبعها ، واغلق الباب بعد انصرافها ..

ثم هز رأسه وتمتم قائلا
ـ يا لها من امرأة !
ونظر الى المظروف ، وقرأ عنوانه مرة اخرى
« إلى مدير البوليس » ..
وارسل بصره عبر باب الحديقة ، وتساءل
« ترى ماذا كتبت العجوز في رسالتها إلى مدير البوليس ، واي شخص اتهمت بقتل ابنها ؟

وانه يفكر في هذا ويضرب اخماساً لأسداس ، إذا بباب الغرفة يفتح ، وتدخل مس بنيت .

- ١٣ -

كانت دلائل القلق والانزعاج تبدو على محياها ..

ابتدرته بقولها

ـ ماذا قالت لك ؟

فبهت ستارك وهتف

ـ من تعنين ؟

ـ مسز واريك ، ماذا اخبرتك ؟

ـ اراك منزعجة ، لماذا ؟

ـ لأني اعرف ماذا يمكنها ان تفعل .

ـ ماذا يمكنها ؟ ان ترتكب جريمة قتل ؟

ـ هل هذا ما ارادت ان تقنعك به ؟ هذا ليس صحيحاً ، يجب ان تدرك انه ليس صحيحاً .

ـ انه جائز !

ـ اؤكد لك انه ليس صحيحاً .

ـ لماذا ؟

فقالت وهي تتهالك على احد المقاعد

ـ لأني اعلم .. هل تظن ان هناك شيئاً لا اعلمه عن هؤلاء الناس ؟ اني

أعمل معهم منذ سنوات عديدة ، ويهمني امرهم جميعاً .

ـ بما فيهم ريتشارد واريك !

ـ اني كنت احبه في وقت ما ..

وصمتت ..

فقال وهو يتفرس فيها

ـ امضي في حديثك !

فردت مس بنيت :

ـ لكنه تغير ، تغيرت عقليته ، واختـــل تفكيره ، فكان في بعض الأحيان شيطاناً مريداً .

ـ الجميع متفقون في هذا !

ـ ليتك عرفته كما كان قبلا ..

فقال ستارك :

ـ انا لا اصدق ذلك .. فـــالناس لا يتحولون إلى النقيض على هذا النحو .

فأجابت مس بنيت :

ـ انه تحول إلى النقيض .

فصاح ستارك وهو يذرع أرض الغرفة :

ـ كلا . كلا .. انه لم يتحول ، إنك لم تفهمي الأمر على حقيقته ، الحقيقة انه كان في قرارة نفسه دائماً شيطاناً ..

انه احد اولئك الناس الذين لا يظهر معدنهم الحقيقي إلا حيـــنما يتخلى الحظ عنهم . فهو سعيد ومعقول طالما هو ناجح وفي مقدوره أن يصل إلى ما يريد ..

فإذا قلب له الدهر ظهر المجن ، سيطر عليه الشر وطغت القسوة التي كانت ترسب في أعماقه .

كانت القسوة دائماً هناك .. وأراهن انه كان فظــاً وهو طالب في المدرسة .

أحبته النساء ، لأن النساء دائماً يحببن الأجلاف ..

وأحب هو الصيد والقنص لأنه وجد فيها متنفساً لقسوته وولعه بتعذيب الآخرين .

تلك هي انطباعاتي عنه ، على ضوء ما قاله الآخرون ..

ولعله استطــاع ان يظهر أمام الناس في صورة الرجل الكريم الناجح المهذب .

ولكن الضعة والقسوة والنذالة كانت هناك دائماً .

وكل ما حدث عندما أصيب ، هو أن الواجهة الجميلة البراقة تحطمت وانهارت فظهر هو على حقيقته .

فقالت مس بنديت وهي تنهض :

-- لا أعلم بأي حق تتكلم هكذا .. إنك غريب عن هــذا البيت ولا تعرف شيئاً عنه !

فأجاب ستارك :

- بل أعرف عنه الكثير ، لأني سمعت الكثير ، كل واحد هنا كان يريد التحدث الي لسبب او لآخر .

- هذا صحيح ، وهأنذا أتحدث اليك ، هل تعرف لماذا ؟ لأن أحداً منا لا يجرؤ على التحدث إلى الآخرين .

ثم نظرت اليه متوسلة وقالت :

- كم أتمنى ألا ترحل !

فقال بتؤدة

- الواقع اني لم أفعل شيئاً ذا اهمية .. كل مـــا فعلته هو إني دخلت هذا البيت بغير استئذان .. واكتشفت وجود جثــة رجل

مقتول ..

ـ أنا ولورا اكتشفنا الجثة .

وتمهلت قليلاً ..

ثم قالت مستدركة

ـ بل أظن ان لورا وحدها هي التي اكتشفتها .

فنظر اليها وابتسم وقال

ـ انت امرأة ذكية يا مس بنيت .

ـ إنك تصديت لمساعدتها ، اليس كذلك ؟

ـ انت تتوهمين أشياء لم تحصل !

ـ كلا .. والواقع اني لا أريد للورا سوى السعادة ، اريدها أن تكون سعيدة جداً !

فتحول اليها وقال بجدة

ـ أنا ايضاً اريد لها السعادة !

ـ في هذه الحالة ..

ولم تتم عبارتها ..

فقد سمعا وقع اقدام في الشرفة ..

وشاهدا جان يعبث بمسدس ، فأفلتت من فم مس بنيت آهة ذعر ، ولكن ستارك رفع اصبعه إلى فمه محذراً ..

وهمس قائلاً

ـ صه ..

ثم اقترب من جان وسأله

ـ ماذا تفعل يا جان ؟

ولم تطق مس بنيت صبراً !

واسرعت إلى الشاب وهي تصيح

ـ اعطني هذا المسدس يا جان !

ومدت يدها لتتناول المسدس ، ولكن الشاب قهقه ضاحكاً وانطلق يعدو في الحديقة وهو يصيح

ـ تعالي خذيه إذا استطعت ..

فانطلقت في أثره وهي تصرخ

ـ جان .. جان !

ووقف ستارك يرقبهما من بعيد ..

وهم بالخروج إلى الشرفة ، ولكنه سمع باب الغرفة يفتح ، فاستدار فرأى لورا !

- ١٤ -

نظرت لورا حولها وسألت

- اين المفتش إذن ؟

فأشار ستارك باصبعه نحو الطابق الأول ، فقالت

- اريد ان اتكلم اليك يا مايكل ، إن جوليان لم يقتل ريتشارد .

فقال ببرود

- احقاً ؟ هل لك ذلك ؟

- الا تصدقني ؟ هذه هي الحقيقة .

- لعلك تريدين ان تقولي ان هذا ما تعتقدين انه الحقيقة .

- انا اعلم انها الحقيقة ، انه كان يظن اني قتلت ريتشارد .

- لا غرابة في ذلك ، انا ايضاً ظننت هذا .

- انه صدم عندما ساوره الشك في اني ارتكبت الجريمة ، وتغير شعوره نحوي تماماً .

فارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة وقال

- هذا في حين انك عندما ظننت انه هو القاتل ، كنت على اتم استعداد لتحمل المسؤولية كلها ..

ثم هز رأسه واستطرد قائلاً

— الحق انك امرأة رائعة ، ولكن ماذا حمله على الادلاء بهـذا الاعتراف المدمر ، لماذا اعترف بأنه كان هنا ليلة امس .. لا شك ان السبب ليس حبه للحقيقة وحرصه على اعلانها ..

فأجابت لورا :

— السبب هو أنجل ، فقد رأى ، أو زعم انه رأى جوليان هنا .

— الواقع اني اشتممت رائحة ابتزاز ، وكنت أشعر بنفور من هذا الرجل المدعو انجل .

فتمتمت لورا :

— فقد قال انه رأى جوليـان ينصرف مسرعاً ، عقب انطلاق الرصاصة .. يا إلهي ! كم أنا خـائفة ! انني أشعر بالحلقة تضيق من حولنا ..

وتهالكت على أحد المقاعد ..

فاقترب منها ، وقال وهو يضع يديه على كتفيها :

— كلا .. لا تخافي سيكون كل شيء على ما يرام .

فصاحت في يأس :

— ولكن كيف ، كيف ؟

فقال وهو يسير نحو باب الشرفة :

— اؤكد لك ان كل شيء سيكون على ما يرام .

فقالت لورا :

— هل سنعرف يوماً ما من قتل ريتشارد ؟

فنظر ستارك إلى الحديقة كمن يرى شيئاً مسلياً ..

ثم قال :

— إن مس بنيت على يقين من أنها تعرف .

فتنهدت لورا وقالت :

– مس بنيت تصيب حيناً وتخطىء أحياناً !
فمد ستارك يده نحوها ..

وقال وهو لا يزال يطل على الحديقة :
– تعال .. بسرعة !

فهرولت اليه ..
وأمسكت بيده ..
قال وهو يراقب ما يحدث في الحديقة :
– نعم يا لورا .. هذا ما ظننته ؟
– ماذا ؟
– صه ..
ودخلت مس بنيت مسرعة ، وقالت وهي تلهث :
– مستر ستارك . لورا ، اخرجا بسرعة .. إلى الغرفة المجاورة .. المفتش هناك !
فهرول ستارك ولورا إلى الغرفة المجاورة ..

* * *

بينما نظرت مس بنيت إلى الحديقة وقالت :
– تعال ، تعال يا جان وكفى مضايقة .

فدخل جان من باب الشرفة ببطء ، وفي عينيه نظرة تجمع بين التمرد والانتصار .
وسألته مس بنيت وهي تشير إلى المسدس الذي بيده :
– كيف حصلت على هذا ؟

فأجاب وهو يبتسم بدهاء :

– هل ظننت انك كنت بارعة حين أغلقت الدولاب ؟ فقد وجدت مفتـــاحاً يفتحه ، وأخذت هذا المسدس ، وسوف استعمله في اطلاق الرصاص كما كان يفعل ريتشارد .

قال ذلك وصوب المسدس نحوها فجأة وأردف :

– حذار يا مس بنيت ، فقد أطلقه عليك .

فأجفلت ..

ولكنها قالت في هدوء :

– لا شك إنك لن تفعل هذا يا جـــان .. أنا واثقة من انك لن تفعل .

فظل يصوب المسدس نحوها لحظة ..

ثم خفضه ..

وتنهدت المرأة واطمأنت قليلاً .

وقال جان بلطف :

– كلا يا مس بنيت ، لن افعل هذا !

– هذا لأنك أصبحت رجلاً الآن ، ولن تتصرف كالصغـــار .. اليس كذلك ؟

فأجاب وهو يجلس امام المكتب

– نعم ، انا رجل الآن ، وبعد موت ريتشارد أصبحت الرجـــل الوحيد في الأسرة .

– ولهذا كنت على يقين من انك لن تطلق الرصاص علي ، إنك لن تطلقه إلا على عدو .

– طبعاً !

فقالت وهي تقترب من المكتب بحذر

ـ خلال الحرب ، كان رجل المقاومة إذا قتل واحداً من الأعداء ، حفر علامة في ماسورة مسدسه .

فنظر جان إلى ماسورة المسدس وقال

ـ أحقاً ؟ هل كانت على مسدساتهم علامات كثيرة ؟

ـ نعم ، بعضهم كانت على مسدساتهم علامات كثيرة .

ـ يا لها من لعبة مسلية !

ـ وطبعاً كان بعضهم ينفر من القتل ، بينما كان البعض الآخر يستطيبه ويتلذذ به ؟

ـ مثل ريتشارد !

ـ نعم ، كان ريتشارد يحب قتل الحيوان والطير ، فهل أنت كذلك يا جان ؟

فأخرج جان من جيبه مطواة ، وراح يحفر بها علامة على فوهة المسدس .

وقال ببساطة

ـ إن القتل متعة

فقالت مس بنيت

ـ إنك لم تشأ أن يبعث بك ريتشارد إلى إحدى المصحات .. اليس كذلك ؟

فقال جان

ـ كان دائماً يهدد بإبعادي من هنا ، فقد كان وحشاً .

فقالت مس بنيت وهي تدور حوله ببطء

ـ اذكر انك قلت له مرة بأنك ستقتله إذا حاول ابعادك .

ـ هل قلت له ذلك حقاً !

فقالت مس بنيت

– ولكنك لم تقتله !

– كلا .. أنا لم اقتله !

– كان ذلك ضعفاً منك .

فقال جان

– أحقاً !

– نعم .. لأنك هددته بالقتل ولم تنفذ تهديدك ، إذا حاول انسان أن يسجنني في مصحة فإني لن اتردد في قتله .

فرد جان

أنا أيضاً افعل ذلك !

فقالت في دهاء

– هذا مجرد كلام ، لأنك لم تقتله ، بل قتله شخص آخر .

فسأل جان

– من قال ان شخصاً آخر قتله ! ربما أكون أنا الذي قتله ..

فقالت مس بنيت

– كلا ، لا يمكن أن تكون قد قتلته .. لأنك كنت مراهقاً صغيراً ولا تجرؤ على القتل .

فوثب من مقعده وصاح

– اتظنين اني لم اكن اجرؤ ! اهذا ما تظنينه !

– طبعاً لم تكن تجرؤ على قتل ريتشارد ، كان لا بد ان تكون كبيراً وشجاعاً لكي تفعل ذلك .

فقال وهو يضحك

– إنك لا تعرفين شيئاً يا مس بنيت !

– هل هناك شيء لا أعرفه ! اتضحك مني يا جان !

فقال جان

– نعم .. أضحك منك لأني ابرع منك .

ثم استدار اليها فجأة وقال

– اني اعرف أشياء لا تعرفينها .

فأجابت مس بنيت

– ما الذي تعرفه ولا اعرفه !

فارتسمت على شفتيه ابتسامة غامضة وجلس دون ان يجيب

فقالت وهي تقترب منه

– الا تريد ان تخبرني ! الا تثق بي ..

فأجاب في مرارة

– لا يجب أن يثق الانسان في احد .

– لقد بدأت الآن اشعر بأنك بارع ، وان هناك أشياء لا اعرفها .

– هل بدأت تدركين مدى براعتي !

فتمتمت مس بنيت

– نعم ، هل هناك اشياء كثيرة اخرى لا اعرفها عنك !

فرد جان بهدوء

– أشياء كثيرة جداً ، ثم إني أعرف أشياء كثيرة عن كل واحد هنا ، ولكني لا اتكلم ، اني في بعض الأحيان أستيقظ ليلاً واتجول في البيت فأرى واسمع ، غير اني لا اتكلم !

– لا بد انك تعرف الآن كثيراً من الأسرار الخطيرة !

فضحك وقال

– اعرف أسراراً سيقف شعر رأسك ذعراً إذا حدثتك عنها .

فردت وهي تتفرس في وجهه

– ذعراً منك يا جان !

فقال جان متمهلاً

– نعم مني أنا ..

– انني لم اكن اعرفك على حقيقتك يا جان ، اما الآن فإنني بدأت أفهمك .

فقال وقد اثلج الاطراء

– لا احد يعرفني على حقيقتي او يعرف ما استطيع عمله .. مسكين ريتشارد ، كان يجلس هنا كالأبله ، ويطلق الرصاص على الأرانب الحمقاء !

ثم انثنى إلى مس بنيت قائلا

– تري ، هل خطر بباله ان شخصاً ما قد يطلق عليه الرصاص هو أيضاً .

– طبعاً لا ، وقد اخطأ إذ لم يفكر في ذلك !

– نعم ، إنه اخطأ ، واخطأ كثيراً ، وكان اكبر اخطائه انه اراد ان يبعدني ، غير اني عرفت كيف أمنعه .

– احقاً ، ماذا فعلت كي تمنعه !

فنظر اليها بخبث ودهاء ..

ثم هز كتفيه واجاب

– لن أخبر أحداً !

– ربما كنت على حق ، اني أعرف ماذا فعلت كي تمنعه ، ولكنني لن اقول لأحد ، كي يظل سرك في حرز امين .

– نعم ، انه سري وحدي !

ثم تألقت عيناه وقال :

– لا احد يعرفني على حقيقتي .. اني خطير .. ويحسن بالجميع أن يحذروني .

– إذاً ريتشارد لم يكن يعرف مدى خطورتك ، ولا شك انه دهش .

- دهش ؟ واية دهشة ! فقد امتقع وجهـــه ، ثم سقط رأسه فوق صدره ، وسال الدم على قميصه ولم يتحرك بعدئذ ، فقـــد منعته من تهديدي ، فلن يهددني احد بعد الآن !

ثم اقترب من مس بنيت ..

وقال وهو يعرض المسدس أمامها :

– أنظري ، لقد وضعت علامة على ماسورة المسدس .

– هذا أمر مثير ، دعني أرى !

ومدت يدها لتتناول المسدس ، ولكنه كان أسرع منهـــا فتراجع خطوة وقال :

– كلا ، لن أسمح لأحد بأن يأخذ مسدسي ، وإذا حاول رجال البوليس ان يقبضوا علي فسأطلق عليهم الرصاص !

فردت مس بنيت :

– لا ضرورة لذلك ، لا ضرورة اطلاقاً ، فأنت ماهر جداً ، فلن يساورهم شك في امرك .

فضحك وقال :

– إنهم بلهاء ، بلهاء جداً ، بل واكثر بلاهة من ريتشارد .

وصوب المسدس نحو المقعد المتحرك ، الذي كان يجلس عليه اخوه .

وفي هذه اللحظة ، فتح الباب ودخل المفتش والرقيب .

وما أن رآهما جان ، حتى دار على عقبيه .. ووثب نحو الشرفة ، بينما ارتمت مس بنيت على احد المقاعد وأجهشت بالبكاء .

وصاح المفتش بالرقيب :

– أسرع خلفه ، ولا تدعه يفلت منك .

فانطلق الرقيب في أثر جان ..

ودخل ستارك ولورا .

وتبعها الخجل !

ثم ظهرت مسز واريك على عتبة الباب بقامتها الطويلة المستقيمة ، ووجهها الجامد الذي لا يعبر عن شيء .

وأقبل المفتش على مس بنيت .. وقال لها بلطف وهو يربت على كتفها :

– خيراً ما فعلت يا مس بنيت .. هدئي اعصابك ورفهي عنك ، ولا تحزني .

فقالت بصوت متهدج :

– كنت أعلم منذ البداية ، اني اعرف جان كما لا يعرفه أحد سواي ، كان ريتشارد يتحداه ويثيره بلا هوادة ، وقد لاحظت في الفترة الأخيرة ان جان أصبح انساناً خطراً .

فهتفت لورا في حزن وجزع :

– جان .. مستحيل !

وارتمت على مقعد أمام المكتب .

ونظرت مسز واريك إلى مس بنيت مؤنبة ..

وقالت تعاتبها :

– لماذا فعلت هذا يا مس بنيت ؟ لماذا ؟ ظننت انك ستكونين مخلصة على الأقل .

فقالت مس بنيت بلهجة التحدي :

– هناك ظروف تكون فيها الحقيقة أهم من الاخلاص ، انك لم تلاحظي ولا أحد سواك لاحظ انه يزداد خطورة يوماً بعد يوم ، انه شاب لطيف ولكن !

وغلبها الحزن ..

فلم تكمل عبارتها !

وتقدمت مسز واريك ببطء وحزن وجلست على أحد المقاعد .

فقال المفتش :

- إن امثاله يصبحون خطراً على انفسهم وعلى سواهم عندما يصلون إلى سن معينـة ، إنهم يفقدون الادراك والتميز والسيطرة على أنفسهم ، وعلى تصرفاتهم

ثم التفت إلى مسز واريك وقال :

- لا تبتئسي يا سيدتي .. فإنني أعدك بأنه سوف يعـامل برفق وعطف .. إن موقفه واضح ، شاب متخلف عقليـاً وغير مسؤول عما يفعل !

وهذا معناه انه سوف يحجز في مكان تتوفر فيه أسباب الراحـة وسائل العلاج ، وهو ما كنتم ستفعلونه به على اي حال إن عاجلاً أو آجلاً !

فقالت مسز واريك :

- نعم ، نعم .. انك على حق !

ثم التفتت إلى مس بنيت وقالت :

- أنا آسفة يا مس بنيت .. إنك قلت ان لا أحد كان يعرف انه أصبح خطراً .. انا كنت أعرف ، ولكن لم يكن في استطاعتي أن أفعل شيئاً .

فقالت مس بنيت :

- كان لا بد أن يفعل احد شيئاً !

* * *

وهنـــا سمعوا صوت طلق ناري فوجموا ، وجمدوا في أماكنهم لحظة ..

ونظر بعضهم إلى بعض ..

ثم اندفع الرجال نحو الشرفة ..

ولكنهم ما كادوا يبلغونها حتى سمعوا صوت طلق آخر .

وصرخة مخيفة ..

كصرخة وحش جريح ..

جعلت الدم يجمد في عروقهم !

قبل ان يتبين المفتش الحاضرون مصدر الطلقين والصرخة ، برز الرقيب من بين أشجار الحديقة وهو يترنح .

كان ممسكاً بيده اليسرى ، والدم ينزف منها بغزارة .

فصاح به المفتش :

– ماذا حدث ؟

ولم يجب الرقيب على الفور ، ورأى المفتش من تقلص وجهه انه يتألم ، فخف اليه ، وأحاطه بساعده ، وعاونه على ارتقاء درج السلم المؤدي إلى الشرفة ..

ثم اجلسه على أحد المقاعد وقال لأنجل :

– علي بضمادة اعصب بها جرحه ..

فغادر الخادم الغرفة مسرعاً .

بينما قال ستارك

– هل ادعو سيارة الاسعاف ؟

فقال الرقيب وهو لا يزال يتألم

– كلا .. لا ضرورة لذلك ، انه جرح بسيط !

فسأله المفتش

- ماذا حدث ؟

وتعلقت الأنظار بشفتي الرقيب ..

فقال هذا

- اني عدوت خلفه ، وكان الضباب قد بدأ ينتشر ، فراح يحاورني بين أشجار الحديقة ، ثم اطلق علي رصاصة أصابت يـــدي ، ولكنني واصلت مطاردته ، وانقضضت عليه لأنتزع المسدس من يده ، فانطلقت من المسدس رصاصة أصابت قلبه وقتلته !

فوضعت لورا يدها على فمها لتمنع صرخة كادت أن تفلت منها ، ثم سارت مترنحة حتى تهالكت على مقعد أمام المكتب .

أما مس بنيت ، فإنها أجهشت بالبكاء بصوت مسموع .

وعاد الجل بالضمادة ..

فتناولها المفتش وقال وهو يعصب يد الرقيب :

- هل أنت واثق من انه مات ؟

- نعم يا سيدي ..

ثم هز رأسه في أسى وقال :

- مسكين هذا الصبي ، كان يحاورني بين أشجار الحديقة ويضحك كما لو كان الأمر كله مجرد مزحة .

- وأين هو ؟

- تعال أدلك على مكانه .

- كلا ، خير لك أن تبقى هنا .

- إني أحسن حالاً الآن !

ونهض واقفاً ، ومشى إلى الشرفة .

ونظر المفتش إلى من حوله وقال :

- إني جد آسف على ما حدث ، ولكن لعل ذلك هو أفضل

الحلول !

وغادر المكان في أثر الرقيب .

وهزت مسز واريك رأسها في حزن ..

وتمتمت قائلة :

- افضل الحلول !

فصاحت مس بنيت :

- نعم . نعم ! ذلك افضل الحـــلول ، انه جنب الصبي كثيراً من المتاعب ..

ثم أسرعت إلى مسز واريك ، وقالت وهي تتأبط ذراعها لتساعدها على السير :

- هلمي أيتها العزيزة ، كفا ما عانيت اليوم .

وقبل أن تغادر مسز واريك الغرفة ، لحق بها ستارك وقال وهو يخرج المظروف من جيبه :

- اظن انه يحسن بك الآن أن تستردي هذا .

- نعم ، نعم .. لم تبق له ضرورة الآن .

وانصرفت مسز واريك ومس بنيت ، ولم يبق بالغرفة سوى ستارك وانجل ، ولورا .. التي دفنت وجهها بين كفيها ، وقد برح بها الحزن والأسى !

ووقف انجل متردداً لحظة ، ثم اقترب من المكتب حيث كانت تجلس لورا وقال :

- لا أعرف كيف أعبر لك عن أسفي وحزني يا سيدتي ، فإذا كان هناك ما استطيع عمله !

فقاطعته بأن قالت دون أن ترفع رأسها

- نحن لم نعد بحاجة إلى خدماتك يا انجل ، سأعد لك شيكاً بمستحقاتك

وعليك ان تغادر هذا البيت اليوم .

– شكراً لك يا سيدتي !

ودار على عقبيه ، وغادر الغرفة ..

فأغلق ستارك الباب وراءه ، وقال يحدث لورا :

– ألا تريدين اتهامه بالابتزاز ؟

– كلا .

– هذا أمر يؤسف له .

ثم اردف بعد قليل :

– أظن انه يحسن بي الآن ان اودعك وارحل .

فلم ترفع لورا رأسها ، ولم تتكلم ؟

قال :

– لا يجب أن تحزني ؟

فأجابت بشعور صادق :

– اني حزينة .

– من أجل ذلك الصبي ؟

فنظرت اليه وقالت :

– نعم ولأني كنت السبب ، فقد كان ريتشارد على حق ، وكان يجب ارسال جان إلى إحدى المصحات حيث لا يستطيع أن يؤذي أحداً ، ولكني عارضت في ذلك بقوة ، ولهذا كنت السبب في مقتل زوجي .

فقال ستارك بشيء من الخشونة

- دعي هذه الحساسيات يا لورا ، ولنكن واقعيين ، فقد القي زوجك حتفه بطبعه ، وحفر قبره بنفسه ؟ كان بوسعه أن يعامل الصبي بشيء من الرفق والحنان ، اليس كذلك ؟ لا ينبغي أن تنحي باللائمة على نفسك ،

ان من حقك الآن ان تكوني سعيدة ، وان تنعمي بالراحة والاستقرار .

فأجابت بمرارة

— مع من ؟ مع جوليان ؟ انت ترى انه قد تغير كثيراً ولم يعد كالعهد به .

— لماذا ؟

— عندما ظننت ان جوليان هو الذي قتل زوجي ، لم يؤثر ذلك على شعوري نحوه ، ولم يضعف حبي له ، بل على العكس ، كنت على استعداد للاعتراف بالجريمة ، ومواجهة التبعات .

— اعلم هذا ، وتلك هي الحماقة بكل معانيها ، يا إلهي ؟ لماذا يطيب للنساء دائماً ان يجعلن من أنفسهم شهيدات ؟

فاستطردت لورا قائلة بحنق

— اما عندما ظن جوليان انني التي ارتكبت الجريمة ، تغير تماماً ، وتبدل شعوره نحوي ، صحيح انه ابدى شهامة حين التزم الصمت ، ولم يدل بأقوال تزيد موقفي سوءاً ، ولكن هذا كل ما فعله ، نعم ، نعم ، انه تغير كثيراً .

— اصغي الي يا لورا ، يجب ان تعلمي ان رد الفعل عند الرجال يختلف عنه عند النساء ، والواقع ان الرجال هم الجنس الأكثر حساسية ، أما النساء فإنهن اكثر شراسة واصلب معدناً ، والمرأة تستطيع ان ترتكب جريمة قتل بمثل البساطة التي تصبغ بها شفتيها .. والنتيجة هي ان المرأة قد تنظر بإكبار إلى الرجل الذي يرتكب جريمة قتل من اجلها ، اما الرجل فإن شعوره وردة الفعل عنده يختلفان تماماً .

— ولكن شعورك انت لم يكن كذلك ، عندما ظننت اني قتلت زوجي تقدمت لمساعدتي دون تردد .

فأجفل وصمت لحظة ..

ثم قال

ـ إن موقفي يختلف ، فقد كان لزاماً علي مساعدتك .

ـ ولماذا كان هذا الالتزام بمساعدتي ؟

فأجاب بهدوء

ـ اني ما زلت أريد مساعدتك .

فقالت وهي تتفرس في وجهه

ـ ألا ترى إننـــا عدنا إلى حيث بدأنا ؟ وإني ما زلت المسئولة عن مصرع ريتشارد .. لأنني عارضت في ارسال جان إلى إحدى المصحات ؟

فجلس ستارك من طرف الأريكة وقال :

ـ هل هذا هو كل ما يزعجك ؟ أيزعجك ان يكون جان هو الذي اطلق الرصاص على زوجك ؟ ولكن .. ألا يحتمل أن تكون الحقيقة غير ذلك ؟

فتمتمت لورا

ـ كيف تقول كلاماً كهذا ؟ اني سمعته ، بل كلنا سمعناه حين اعترف بالجريمة وتفاخر بها .

فقال مايكل بهدوء

ـ أعلم هـــذا ، ولكن هل تعرفين شيئاً عن قوة الايحاء ، فقد استدرجته مس بنيت بلباقة ، وعرفت كيف تثير حقده تارة ، وتغذي خيلاءه مرة اخرى ، وكان الصبي تربة صالحة للايحاء ، فراقته كما تروق أغلب المراهقين ، فكرة أن يكون قاتلا .

فقد لوحت له مس بنيت بالطعم فابتلعه ، وتصور إنه قتل زوجك ، فوضع علامة على ماسورة مسدسه ، كما كان يفعل رجال المقاومة وتصور نفسه بطلا .

ونهض واقفا ، وأخذ يذرع أرض الغرفة !

ثم قال ·

— إنك لا تعلمين ولا احد يعلم هل قال الحقيقة ام لا

— ولكنه أطلق الرصاص على الرقيب .

فقال ستارك

— نعم .. إنه انسان خطر ما في ذلك شك ، ويحتمل جداً أن يكون هو الذي اطلق الرصاص زوجك ، غير انك لا تستطيعين أن تؤكدي بصفة قاطعة انه فعل هذا ، يحتمل أن يكون من أطلق الرصاص شخصاً آخر .

— من ؟

فأجاب بعد صمت قصير :

— مس بنيت مثلا .. انها تحبك ، إنهـــا تحبك ، فربما ظنت انك ستكونين سعيدة إذا تخلصت من زوجك .. أو مسز واريك نفسها ، او صديقك جوليان .. ربما كان جوليان قد اطلق الرصاص على ريتشارد ، ثم زعم بعد ذلك انه ظن انك القاتلة ، وهي لعبة بارعة خدعتك تماماً .

— لا شك انك غير مؤمن بما تقول .. انت تقول هذا فقط للترفه عني وتخلصني من وخز الضمير .

فصاح ستارك في ضيق :

— يا فتاتي العزيزة ، اي شخص يمكن ان يكون هو الذي اطلق الرصاص على زوجك ، ولا استثني من ذلك ماكجريجور نفسه .

فبهتت وصاحت :

— ماكجريجور ؟ ولكن ماكجريجور مات .

— طبعاً .. المفروض انه مات ، اصغي الي ، في مقدوري ان اطرح القضية امـامك بطريقة لا تدع مجالاً للشك في ان ماكجريجور

هو القاتل .

هب أنه قرر قتل زوجك على سبيل الانتقام ، فماذا يفعل ؟ أول شيء يفعله هو ان يتخلص من شخصيته ، فليس من المسير عليه أن يزيف حادث وفاة في مكان قصي من بلد بعيد مثل الأسكا ، هذا يكلفه بعض المال ، وشهادة زور ، ولكنه ممكن !

ثم ينتحل اسماً جديداً ويبني لنفسه شخصية جديدة ، ويزاول مهنة جديدة في بلد آخر .

غير انه يظل - بطريقة أو بأخرى - على اتصال بما يجري هنا ، حتى إذا علم انكم غادرتم (نورفولك) ، وجئت إلى هذا البيت ، شرع في وضع خطته

ثم يزيل لحيته ويصبغ شعره ، ويفعل كل ما من شأنه أن يغير ملامح وجهه ، وفي ليلة كثيفة الضباب ، يأتي إلى هنا .

وصمت ستارك قليلاً .. ثم نهض ووقف أمام الشرفة وقال وهو يطل على الحديقة :

- لنفرض إذن انه جاء إلى هنا ، ووجد زوجك في مقعده ، ولم يشأ ان يقتله غدراً فقال له : إن معي مسدسي ، ومعك مسدسك ، سأعد من واحد إلى ثلاثة ثم يطلق كل منا مسدسه على الآخر ، اني جئت لأنتقم لولدي كما تعلم !

ومضى في حديثه ، فقال :

- لنفرض ايضاً ان زوجك ليس شخصاً رياضياً بكل معنى الكلمة كما تتوهمين ، وانه لم ينتظر غريمه حتى يفرغ من العد .

وأذكر أنك قلت عن زوجك انه كان بارعاً في اصابة الهدف .

فلنفرض انه اخطأ الهدف هذه المرة ، وطاشت رصاصته في الحديقة ..

حيث يوجد كثير من الرصاصات التي سبق ان اطلقها .

بينما لم يخطيء ماكجريجور ، واصابت رصاصته الهدف ، وقتلت زوجك .

ولنتصور بعد ذلك ان ماكجريجور وضع مسدسه بقرب الجثة ، واخذ مسدس زوجك ، وغادر البيت عن طريق الحديقة ، ثم عاد بعد قليل .

ــ عاد ؟ لماذا ؟

ــ لنفرض ان سيارته وقعت في حفرة ، فلم يستطع الابتعاد ، فماذا يفعل ! انه يفعل الشيء الطبيعي الوحيد ، وهو ان يدخل البيت ويكتشف وجود الجثة .

فقالت في دهشة :

ــ انك تتكلم كما لو كنت تعرف ما حدث تماماً .

فقال ستارك بحدة :

ــ انا اعرف ما حدث .. ألم تفهمي .. انا ماكجريجور !

ولم تصدق لورا اذنيها ..

ونهضت من مقعدها وهي تغمغم :

ــ انت ..

وحلقت نحوه بعينين مفعمتين بالدهشة والذهول ..

فقال بصوت اجش :

ــ وداعاً يا لورا .

وخرج إلى الشرفة ..

واختفى بين أشجار الحديقة ..

وعندما افاقت من دهشتها ..

أسرعت تعدو خلفه وتصيح

ـ صبراً يا مايكل .. صبراً ..

ووقفت في الشرفة تهتف

ـ مايكل .. عد يا مايكل ..

ولكن صوتها ضاع في زئير النفير ، الذي دوى في تلك اللحظة ليحذر الصيادين من كثافة الضباب ..

ـ تمت ـ